الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد Université Abou Bekr Belkaid
تلمسان الجزائر

كلية الآداب و اللغات
شعبة: آداب و حضارة
تخصص: دراسات مقارنة

2013
Fac.LT.0228

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الآداب و الحضارة
الموسومة بـ:

معالم المنهج الإصلاحي بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و جماعة العروة الوثقى

ـ دراسة مقارنة ـ

من إعداد الطالبتين :
*بن زيان أسية
*بلهداجي بدرة

تحت إشراف الأستاذة:
شاقع بلعيد نصيرة

السنة الجامعية: 1432 ـ 1433هـ 2011م / 2012م

THS 200 18/01

﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي
أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في
عبادك الصالحين﴾

النمل: ١٩

شكر و تقدير

قال الله تعالى، بعد بسم الله الرحمان الرحيم:

« ولئن شكرتم لأزيدنكم » طبقا لقوله عزوجل ، أقول في البداية الحمد الكثير و الشكر الجزيل للعلي القدير الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع ، و الصلاة و السلام على البشير النذير و السراج المنير سيدنا وحبيبنا محمد (صلى الله عليه وسلم)

كما قال رسول الله (ص) :" من لم يشكر الناس لم يشكر الله و من أهدى إليكم معروفا فكافئوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له " ، سيرا على نهج المصطفى يسرنا في البداية أن نتوجه بالشكر الجزيل و الثناء الخالص إلى أستاذتنا :"شافع بلعيد نصيرة" التي أشرفت على تحضيرنا لهذه المذكرة و ولم تبخل علينا بنصائحها الثينة و توجيهاتها القيمة كما نشكرها على تحمل عناء قراءة و تصحيح فصولها رغم إنشغالاتها الكثيرة .

ثم نخص شكرنا إعترافا بالفضل لأهلنا إلى من قاسمنا عبئ هذا البحث و تحمل مشقة سهر الليالي الذي لولا بفضل عون الله و عونها لما كانت مذكرتنا لترى النور ، فخالص التشكرات و التقديرات لك يا أستاذتي.

كما نتقدم بالشكر و الإمتنان إلى كل من قدم لنا يد المساعدة و نخص بالذكر الأستاذ:خالدي هشام. الذي قدم لنا يد العون و المساعدة و لم يبخل علينا بمجهودته.

أسية ، بدرة

الإهداء

أهدي خلاصة عملي وثمرة جهدي ونتيجة تعبي

إلى الذي قادني لدرب الصلاح وأنالي نبراس العلم

إلى أبي العزيز الذي يشقى من أجل نجاحنا.

إلى التي سقتني وروتني من مشارب الحياة

إلى شمس حياتي أمي الحبيبة.

إلى شريك حياتي -إن شاء الله- "محمد".

إلى أخي العزيز والوحيد "خالد".

إلى أخواتي "هجيرة- فاطمة" .

إلى كتاكيت العائلة وخاصة "محمد ريان".

إلى كافة عائلة "بن زيان" و"شالخ" و"عداوي".

إلى الذين عرفتهم وكانت لي معهم ذكريات جميلة.

إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم يكتبهم قلمي.

بن زيان أسية

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي.....

إلى أغلى نعم الله علي في هذه الحياة، إلى من قال فيهم الله عز وجل:" وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا".

إلى من أقف عاجزة أمام جميله وعطائه، إلى تاج رأسي ورمزي فخري وقدوتي، إلى ملبسي هندام العزة و الكبرياء ومن علمني أن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة نحو الأمام ، والذي ساعدني على تجاوز عشراتي حتى رسم الزمن على جبينه تجاعيد التعب والشقاء، أبي الغالي: "محمد ".

إلى ذات النبع الصافي من الحب والحنان الدافئ ، إلى من تعجز الكلمات عن الوفاء بحقها والإشادة بفضلها ، إلى أغلى من أن يشكر لها الكريم والجهود لاينكرها إلا اللئيم، إلى من كانت زادي كلما افتقرت ورشدي كلما ضللت، إلى أغلى من أحببت أمي الغالية:" فاطمة".

إلى من قاسمني دفء الرحم الأموي وكانوا زهرات حياتي:"هوارية "مداني"خديجة "خيرة "عابد "مصطفى "سفيان".

إلى كتاكيت العائلة ورمز فرحها وشعاع ابتسامتها :" أحمد " "هواري" "فاطمة " "محمد ياسين"

إلى كل من يحمل لقب"بلهداجي " ولقب "زيان بن يطو" خاصة "خدوج " ولقب "بلهلول "كبيرا وصغيرا ، إلى أخواتي اللاتي لم تلدهم أمي ورفيقاتي اللاتي قاسمنني حلاوة ومرارة الأيام الجامعية: والقائمة طويلة لايتسع المجال لذكرهم وإنما يتسع القلب لإحتوائهم.

إلى كل طلبة السنة الثانية "ماستر"

تخصص دراسات مقارنة في الأدب"دفعة سنة 2011-2012.

بلهداجي بدة

مقدمة

عرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلاديين في الوطن العربي حركة إصلاحية هامة، ويقظة سياسية عامة، قادها علماء وطنيون وسياسيون مفكرون، تميزوا بالموسوعية في تكوينهم وبالمزاوجة بين الأصالة والمعاصرة في أفكارهم وأعمالهم.

وحاولوا أن يقيموا جسورا متينة بين كل الأقطار العربية الإسلامية بعد أن قوضت أركانها حركة الاستعمار الحديث، وما فتئوا يقاومون كل المؤثرات السلبية في المجتمع العربي سواء كانت داخلية محلية أو خارجية أجنبية حتى تمكنوا من زعزعة الجمود الفكري الذي ران على عقول الناس وقلوبهم ردحا من الزمن ، وهزوا أركان صروح الاستبداد والاستعمار الغربي في بلادهم.

وسنحاول في مذكرتنا هذه أن نقدم للقارئ دراسة تحليلية ميسرة مقارنة لفكر ومنهج وأعمال حركتين من الحركات الإصلاحية اللتين انبلجا مع تباشير الربع الأخير من القرن التاسع عشر ميلادي .

هذا البحث هو دراسة تاريخية فكرية مقارنة بين عمل حركتين من حركات النهضة العربية الإسلامية الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين وهما **جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وجماعة العروة الوثقى بمصر** وأعمالهما هذه ثرية ومتشعبة بقيم الإسلام ومناهج الإصلاح والمعرفة الصوفية ، وقواعد التفسير ومفاهيم السياسة وأصول الحكم، ومبادئ الفلسفة و أنماط التربية ، ذلك أن هاتين الحركتين ساهمتا بقسط وافر عمليا ونظريا في إنقاذ المجتمعين الجزائري والمصري من الانحطاط الداخلي الذي أصاب الدين والأخلاق والعلاقات الاجتماعية والأسرية والإنسانية عامة، كما أصاب الوطن ومؤسساته السياسية والقيادية والاقتصادية كنتيجة حتمية للهيمنة الاستعمارية من ناحية، ولإستمرار عامل الجمود والتخلف من ناحية أخرى، كما ساهما بجهد معتبر في بعث وإحياء ومحاولة تجديد التراث العربي الإسلامي والتعريف به.

والإشكالية المطروحة في هذا البحث هي:فيما تتجلى معالم المنهج الإصلاحي عند كل من **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** و**جماعة العروة الوثقى** ؟ ،وكذلك فيما تتمثل أهم نقاط التشابه والاختلاف بين المنهج الإصلاحي عند كل من **جمعية العلماء الجزائريين** و**جماعة العروة الوثقى** ؟ ومن الأسباب الهامة التي كانت لنا حافزا في اختيار هذا الموضوع بالذات هي :

أولا : رغبتنا في البحث عن الحقيقة فيما يقال عن الفروق الفكرية بين المثقفين المشارقة والمغاربة لاسيما ما يتردد على الألسن في أن بعض الكتابات في المشرق أرقى وأنضج من كتابات المغرب.

ثانيا: قلة اهتمام الباحثين العرب في المشرق بالشخصيات والحركات الفكرية في المغرب العربي عموما وفي الجزائر على وجه الخصوص.

ثالثا: الرغبة في إبراز قيمة الروابط الثقافية بين المفكرين المشارقة والمفكرين المغاربة عموما والجزائريين بصورة خاصة.

رابعا:عدم توجه المؤرخين والكتاب المشارقة عموما بدراسة ما يخص الجزائر ، باعتبارهم لها جزءا لا يتجزأ من الممتلكات الفرنسية، في عهد الهجمات الأجنبية الاحتلالية لشمال إفريقيا.

ولدراسة هذا الموضوع إرتأينا أن تكون خطة البحث متمثلة في مدخل وثلاثة فصول وخاتمة وملحق.

تناولنا في المدخل بوادر النهضة وأصول الحركة في الجزائر ومصر، ومفهوم الإصلاح لغة واصطلاحا، وخصصنا الفصل الأول لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وقسمناه إلى مبحثين، تطرقنا في المبحث الأول إلى مفهوم **الجمعية** ونشأتها وأهدافها وأعلامها ومبادئها وأركانها وأعمالها ودورها ونشاطاتها، وأشرنا في المبحث الثاني إلى مجالات الإصلاح عند **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**، أما الفصل الثاني فقد تطرقنا

فيه **جماعة العروة الوثقى** في القرآن، ومفهوم **جماعة العروة الوثقى** وأهدافها وأعلامها ومنهج **محمد عبده** الإصلاحي، أما المبحث الثاني فقد عرضنا فيه مجالات الإصلاح عند **الجماعة** وأنهينا البحث بخاتمة أجملنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج، ثم ألحقنا البحث بصور توضيحية للشخصيات البارزة في هاتين الجماعتين.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على كتاب "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية**" للمؤلف **تركي عمامرة** وكذلك كتاب" **المصلح المجدد الإمام ابن باديس**" للمؤلف **محمد الصالح الصادق** ، بالإضافة إلى كتاب "**الفكر العربي الحديث والمعاصر**" **محمد عبده وابن باديس** " **نموذجا**، بالإضافة إلى جريدة **العروة الوثقى** بقلم **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** وكتاب **محمد عبده مجدد الإسلام** للمؤلف **محمد عمارة** .

ولقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن لا أتقيد بمنهج واحد، فاستعملنا المنهج التاريخي الوصفي أثناء استعراض الأحداث التاريخية والظواهر الاجتماعية والثقافية والسياسية حسب تسلسلها الزمني، وكذلك المنهج المقارن عند المقارنة بين أعمال كل من **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** و**جماعة العروة الوثقى** ، وكذلك بين أفكار وأهم القضايا التي عالجها كل من المصلحين "**عبد الحميد ابن باديس**" في الجزائر و"**محمد عبده** "في مصر على مستوى كل الجوانب والميادين التي عمل فيها كل طرف من الأطراف.

تلمسان يوم 2012/06/19

- **بن زيان أسية.**
- **بلهداجي بدرة.**

المدخل

بوادر النهضة وأصول الحركة الإصلاحية في الجزائر ومصر:

إن دراسة تاريخ الحركة الإصلاحية الحديثة في الجزائر ومصر، وإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتطلب بالضرورة من الباحث أن يتجاوز الحدود الجغرافية، ويتطلع إلى الأبعاد التاريخية ويترصد إشعاعات الحركة الفكرية والإصلاحية في المنطقة العربية عموما، والنهضة المصرية خصوصا،لأن الجزائريين كانوا في الشرق العربي الذي كان يحمل إليهم كتب علمائه ومجلاتهم التي تنشر مقالات وأفكار **مصطفى كامل** و**محمد عبده** و**عبد العزيز جاويش** وغيرهم من قادة الحركة الفكرية وأرباب الأقلام العربية في مصر.

و إذا كانت الجزائر بحكم ظروفها الجغرافية و التاريخية أول بلد عربي سقط فريسة بين مخالب الامبريالية والرأسمالية المتنامية في ذلك الوقت ، فإنها بمقتضى هذا الحكم نفسه كانت آخر قطر عربي أثر وتأثر بفكرة الإصلاح المعاصر.

إن الجزائر التي كانت تخضع للسيطرة الفرنسية المباشرة ، بل وتعتبر في حيثيات القانون الفرنسي المكتوب من الوجهة النظرية جزءا لا يتجزأ من الوطن الفرنسي ، وبعيدة عن المشرق العربي مهد الإسلام ، ومنبت فكرة الإصلاح الناضجة أقول أن الجزائر التي كانت بحكم –هذين العاملين الجغرافي والتاريخي– في حاجة إلى لوقت كاف لتوضيح الدعوة الإصلاحية وتغلغلها في أوساط جماعة المثقفين الجزائريين ، والجماهير التي غلب عليها اليأس واستسلمت للقضاء والقدر ، لأن القيام بإصلاح حالة الفرد الاجتماعية والدينية يتطلب من زعماء الأمة أن يهيئوا قدرا كبيرا [1]من وسائل القوة والدعاية الشاملة والارتواء من أهل العرفان والرسوخ في مكارم الأخلاق ، وتوفير الأيدي العاملة لكسب الأرزاق والعمل على

[1] بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945 ص:51-52.

خلق الوحدة بين الجماهير الشعبية . وهذه العوامل كلها ضرورية من أجل القيام بحركة إصلاحية شاملة وناجحة[1].

وفي الأخير يتضح لنا أن أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداءا سمعه العالم الإسلامي كله خاصة الجزائر في عصرنا هذا ،هو الأستاذ الإمام الشيخ **عبده** وأول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه **محمد رشيد رضا** صاحب "**المنار**".

وهكذا ساهمت الصحافة العربية الشرقية في زعزعة الجمود الفكري وساعدت على إيقاظ الضمير العربي الإسلامي في الجزائر، فاستجاب لها الجزائريون على الفور بخلق صحافة عربية وفرنسية ووطنية كانت تصدر عن اتجاهات متعددة من أجل القضاء على البدع والخرافات والضلالات الإعتقادية والعملية.[2]

[1] المرجع السابق ص:51-52.
[2] عبد الحفيظ بورديم ، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجموعة جريدة البصائر، السنة الأولى ، ديسمبر1935جانفي1937.

معنى الإصلاح:

أ-لغة :

إصلاح : مص- مُصْلح :ج: مصلحات : من يصلح شيئا "مصلح ثياب"، من يسعى إلى الصلح والمسالمة والتوافق "مصلح بين الخصوم"، من يعمل على الدعوة إلى الفضيلة "مصلح الأخلاق"[1].

أصلح : أعاد شيئا إلى حالة حسنة وأزال ما فيه من فساد أو عطب أو تلف"أصلح شيئا "عوّض عن أمر سيء بإزالة نتائجه "أصلح أخطاء" والشوائب صحّحه وصوّبه "أصلح نفسه" أزال بفعل الاستمرار نقيصة أو عيّبا فيه . "مذنب يصلح نفسه" وفّق، أزال عداوة وشقاقا ، انهي خلافا "أصلح بين صديقين "، بين الخصوم.

-صَلُحَ -صَلَحَ -صَلاَحًا وصَلُوحاً وصلاحيةً : ضد فسد ، زال عنه الفساد، يقال: "صَلُحَت حال فلان" أي زال عنه الفساد ، ويقال من المجاز "هذا يصلح لك صلاحاً أي يوافقك ويحسن بك". والرجل كان صالحا وفي عمله لزم الصلاّح.

-صالَح :صلاحًا ومصالحةً : وافقه، **أصلح** الشيء ضد أفسده، وإليه أحسن إليه، ويقال: "أصلح الله له في ذريته وماله "أي أحسن إليه.[2]

وجاء في كتاب العين صلح : الصّلاحُ: نقيض الطلاح ورجل صالح في نفسه ومُصْلح في أعماله وأموره، والصُّلْحُ : تصالح القوم بينهم وأصلحْتُ إلى الدابة : أحسنت إليها، والصِّلْحُ : نهر بميسان.[3]

---

[1] كميل إسكندر حشيمة ، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2003 ص:629.
[2] جوزيف نعوم حجار، المنجد في اللغة و الأعلام، الطبعة الحادية و الأربعون، سنة 2005 ص:432.
[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، سنة 2002 ص:456.

وجاء في معجم كتاب العين :صَلَحَ:صلاحاً وصُلُوحًا وصلاحيّة : كان ذا خير ومنفعة ، ضد فَسَدَ ، فهو صالح وصليحُ ،-ج- صُلَحَاء وصلوح ، وهو صِلْحُ "بالكسر" و-ت حاله : حسنت، وهو في حال الصالحة، ويقال هذا يصلح لك ،أي من باتبك ونوعك[1].

أَصْلَحَ : الشيء بعد فساده ، والحال : أقامه وجعله صالحا،والدابة واليها أحسن (ز).

إصْطَلَحُوا وأصّلحوا : وقع بينهم الصلح ، وعلى كذا : جعلوا اصطلاحا لهم.

-إستصلحه: ضد استفسده: طلب صلاحه : وجده صالحا.

الصُّلْحْ: إلتئام تلعب القوم المتصدع وهو السلم "ويؤنث" و القوم المتصالحون(س).

الإصلاح البروتستانتي: وضعها مجمع مصر مرادفا لما في الإنجليزية Reformation جدول : م م:232.[2]

جاء في معجم المصباح المنير (ص.ل.ح) صَلَحَ :الشيء (صُلُوحًا) من باب قعد و(صَلاَحًا) أيضا و(صَلُحَ) بالضم لغة وهو خلاف فسد و(صَلَحَ) (يَصْلُحُ) بفتحتين لغة ثالثة فهو (صَالِحٌ) و(أَصْلَحْتُهُ)(فَصَلَحَ) و(أَصْلَحَ) : أتى(بالصَلاّح) وهو الخير والصّواب ، وفي الأمر (مصلحة) أي خير والجمع (المصالِحُ)و(صَالَحَهُ) (صِلاَحًا) من باب قاتل و(الصُّلْحُ) اسم منه وهو التوفيق ومنه (صُلْح الحديبية) و(أَصْلَحْتُ) بين القوم وفّقت و (تَصَالح) القوم و(اصطلحوا)وهو صالح للولاية : له أهلية القيام بها.[3]

[1] المرجع السابق ص:456.
[2] أحمد رضا ، معجم متن اللغة، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، المجلد الثالث، سنة 1959 ص:479.
[3] أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، المكتبة العصرية بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1996 ص:180.

ب-/ صطلاحا :

وردت هذه اللفظة : "صلح" بكثرة في القرآن الكريم ، وبصيغ مختلفة ، بصيغة الماضي ، والمضارع ، والأمر ، واسم الفاعل والمصدر ، قال تعالى : ﴿**وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ**﴾[1] وقال :﴿ **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ** ﴾ [2]وقال :﴿ **وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾[3] وقال:﴿ **اللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ**﴾[4] وقال :﴿ **لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾[5] .

والصلح ضد الفساد وكلاهما مستعمل بكثرة في الأفعال ، وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة ، قال تعالى :﴿ **وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**﴾، وقال:﴿ **خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا**﴾.[6]

ووصف العمل بالصالح في القرآن الكريم بكثرة ، ومعناه "العمل الطيب" المشروع من طاعة الله تعالى على عباده ، سواء كان من عمل الباطل وهو من عمل القلب ، أو من عمل الظاهر وهو عمل الجوارح، والعمل الصالح من ثمرات الإيمان الدال وجودها على جوده، وكمالها على كماله، ونقصها على نقصه ، وعدمها على إضرابه ووشك انحلاله واضمحلاله[7].

والعمل الصالح خير زاد إلى الآخرة ، وعنوان بارز متألق على إستقامة الإنسان وقوة إيمانه ، ورسوخ عقيدته يقول الشاعر:

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ

ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحَ الأَعْمَالِ.

---

[1] محمد:02.
[2] الأحزاب :71.
[3] الأنفال:01.
[4]البقرة:220.
[5] الأعراف:56.
[6]التوبة:102.
[7] محمد الصالح الصادق، المصلح المجدد ابن باديس ، ديوان المطبوعات الجامعية ،2009 ص:60.

وَالنَّاس هَمُّهُمْ الحَيَاةُ وَلاَ أَرَى

طَوَالَ الحَيَاةِ يَزِيدُ غَيْرَ خِبَالِ.

ولفظ (الصالح) ورد في القرآن الكريم مرادا به معان مختلف ولكنها تنبع من منبع واحد هو الإيمان والطاعة ، والاستقامة على الجادة ، أنظر هذا في هذه الآيات :﴿ **وَصَالِحَ المُؤْمِنِينَ**﴾[1] يعني عمر بن الخطاب :﴿ **وَالشُّهَدَاءَ وَالصَالِحِينَ**﴾[2] يعني عثمان بن عفان :﴿ **وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُنَا مَعَ القَوْمِ الصَالِحِينَ**﴾[3] يعني الصحابة وأصحاب النجاشي﴿**لِنُدْخِلَهُمْ فِي الصَالِحِينَ**﴾[4] يعني جميع المطيعين من الرجال والنساء ﴿**وَهُوَ يَتَوَلَى الصَالِحِينَ**﴾[5] يعني المتوكلين على الله ﴿**لِنُصَّدِقَنَّ وَلِنَكُونَنَّ مِنَ الصَالِحِينَ**﴾[6] يعني المؤيدين للزكاة.

والذي يفهم في ضوء ما تقدم أو يستخلص منه هو أن الصالح من الناس من كان صالحا في عمله، والصالح من الأفعال ما كان حسنا صالحا غير فاسد، والمصلح هو الصالح في نفسه الذي يتولى إصلاح ما فسد ، وما فسد قد يكون عقيدة، وقد يكون عبادة ، وقد يكون أخلاقا ، وقد يكون سلوكا، وقد يكون غير ذلك.

قال ابن تيمية رحمه الله :" يقال اليوم في عملية الإصلاح، أو في أي محاولة للخروج من مصيبة الذّل والهوان الذي نعانيه، وقد أرشد الله تعالى إلى ذلك صريحا في قوله:﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾[7]. هذا التغيير، أي تغيير الأوضاع بأن نغيّر المعصية بالطاعة والكفر بالشكر، وأسباب سخط الله علينا بأسباب

[1] التحريم :04.
[2] النساء: 69.
[3] المائدة:84.
[4] العنكبوت:09.
[5] الأعراف:196.
[6] التوبة:76.
[7] الرعد:11.

رضاه،هو الإصلاح المطلوب حتى يغيّر الله علينا العقوبة بالعافية وتسليط الأعداء بالنصر والذل بالعز.

فيجب أن تتوجه العناية إلى إصلاح النفوس وتهذيبها وتنقيتها من شوائبها وشرورها، حتى تسعد الأمة بأفراد صالحين ومتصفين بالصّلاح الذي أراده الله ورسوله عليه الصلاة والسلام، لا بالصّلاح المستمد من نظريات الرجال ومن أفكار الغرب وزبالة أذهان البشر فالصالح من الرجال و النساء في لسان الشرع قرآنا وسنة.

وقال أيضا وجماع الصّلاح للآدميين هو طاعة الله ورسوله وهو فعل ما ينفعهم وترك ما يضرهم، والفساد بالعكس ؛ فصلاح الشيء هو حصول كماله الذي به تحصل سعادته وفساده بالعكس، والخلق صلاحهم وسعادتهم في أن يكون الله هو معبدوهم الذي تنتهي إليه محبتهم ، ويكون ذلك غاية من الغايات ونهاية النهايات [1].

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله قوله: ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[2] من قبل المصلحين ، ومن ذلك الوقوف ضد دعوة أهل العلم، والوقوف ضد دعوة أهل السلف ، والوقوف ضد من ينادي بأن يكون الحكم في كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[3].

وقال الشيخ ابن تيمية رحمه الله : "فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه، وبالأمر بالتوحيد ، ونهى عن فسادها بالشرك به ومخالفة رسوله ومن تدبر أحوال الأمم وجد كل صالح في الأرض فسببه توحيد الله و عبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة الرسول والدعوة إلى غير الله ، ومن تدبر هذا

[1] ابن تيمية ، النصر منوط بإصلاح النفوس ، مجلة الاصلاح، العدد 13، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، حي دوزي ، قطعة 1، رقم 06، باب الزوار، الجزائر، سنة 2009 ص:6.

[2] الأعراف:56.

[3] ابن العثيمين ، النصر منوط بإصلاح النفوس، مجلة الاصلاح، العدد 13، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، حي دوزي ، قطعة 1، رقم 6، باب الزوار، الجزائرص:08.

حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه ، وفي غيره عموما وخصوصا ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

قال الشيخ الطيب العقبي رحمه الله : "فإن الأمة في حاجة وضرورة إلى الإصلاح، لا من ناحية الدين فقط، بل في نواحي شتى وجهات عديدة ، ولكن ناحية الدّين عندنا أهم من كل ناحية ؛ لأنها إذا صلحت في دينها، وصلحت في عقائدها، أمكنها أن تصلح في كل أعمالها كما تصلح في دنياها ولله الأمر من قبل ومن بعد[2].

قال ابن باديس: "إن الإصلاح مشروع تطوعي استنقاذي تحفه التضييقات الاستعمارية وغير الاستعمارية من كل ناحية إذ الفرد لا يكون دائما على مستوى إدراكي يؤهله للتمييز بين الضار والنافع، وبين المجدي وغير المجدي[3].

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: "لاشك أن إصلاح العقيدة هو أساس كل إصلاح فقد قال الإمام ملك رضي الله عنه: "**لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها** "وهو الشعار الذي رفعه المصلحون في الجزائر وجسّدوه في أقوالهم وأفعالهم وكتاباتهم ، فها هو الشيخ مبارك الميلي مؤرخ الجزائر وأحد علمائها يكتب في العشرينات في أحد أعداد جريدة "**المنتقد**" من حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها، فقد عرّض وحدتها للإنحلال وجسمها للتلاشي، وصار هادما لعرشها بنية تشيّيده[4]".

---

[1] ابن تيمية ، النصر منوط باصلاح النفوس ص:8.

[2] الشيخ الطيب العقبي، الإصلاح، مجلة الإصلاح، العدد 13، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، حي دوزي قطعة 1، رقم 6، باب الزوار ، الجزائر ، الغلاف الخارجي للمجلة.

[3] أحمد طالب الإبراهيمي، أثار البشير الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، سنة 1929،1940، الجزء الأول، الطبعة الأولى ص:8.

[4] المرجع نفسه ص:9.

الفصل الأول

نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية:

في يوليو (جويلية) (تموز) من عام **1930** بلغ عمر الإحتلال الفرنسي للجزائر قرنا كاملا (**1830-1930**) وبهذه المناسبة أقامت فرنسا احتفالات صاخبة في الجزائر كلها قدرت لها أن تدوم ستة أشهر كاملة "ودعت إليها الدنيا كلها" على حد تعبير الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** . غير أنها لم تدم سوى شهرين فقط نظرا لمقاطعة الشعب الجزائري لها، وغضبه على إقامتها بتلك الصورة الاستفزازية ، مما جعل فرنسا تختصرها من ستة أشهر إلى شهرين فقط.

وقد أنفق الفرنسيون على هذه الإحتفالات ما يزيد على ثمانين مليون فرنك فرنسي وأعادوا ذكرى جيش الإحتلال الأول الذي احتل الجزائر في بداية عام **1830** والأعوام التالية له بملابسه- وموسيقاه- وحضر رئيس الجمهورية خصيصا إلى الجزائر لرئاسة الإحتفالات المذكورة -التي اتخذت صورة استفزازية بالنسبة لمشاعر الجزائريين، وإحساسهم حيث أشعرتهم بالذل- والمهانة -وذكرتهم بمئات الألوف من الشهداء من آبائهم وأجدادهم الذين سقطوا في ميادين الجهاد طيلة أكثر من نصف قرن دفاعا عن حرية بلادهم- واستقلالها -وقد دلت خطب المسؤولين الفرنسيين في هذه الإحتفالات على روحهم الصليبية المتطرفة التي لا يزالون يكنونها للعروبة والإسلام في الجزائر [1]، ومن هنا كانت تلك الإحتفالات الإستفزازية بالإضافة إلى غيرها من ظروف موضوعية أخرى ، عاملا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين **جمعية العلماء المسلمين** من حيز الأماني والآمال إلى حيز الوجود الفعلي ، كي تعمل على المحافظة على عروبة الجزائر وإسلامها من الأخطار المحدقة بها ، وبالفعل ففي العام التالي مباشرة وقبل أن ينقضي عام واحد على الإحتفالات المذكورة تم تكوين"**جمعية العلماء المسلمين**" في الخامس من شهر ماي (أيار) عام **1931**

[1] تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931،1956)ورؤوسها الثلاثة ، الطبعة الأولى 1425 ،2004، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر ص:41-42.

من صفوة علماء الجزائر اللذين ينتمون إلى مدرسة التجديد الإسلامي التي ظهرت في العالم الإسلامي ابتدائا من القرن الثامن عشر الميلادي . وهؤلاء العلماء كهم أو جلهم ممن لهم ماض حافل في خدمة الثقافة العربية ،-الإسلامية- والدعوة الإصلاحية .ومقاومة مشاريع الاستعمار المبيتة ضد الشخصية القومية للشعب الجزائري -مثل الشيخ **عبد الحميد بن باديس** والشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** ، والشيخ **الطيب العقبي** ، والشيخ **بن بلقاسم التبسي** ،والشيخ **مبارك الميلي** وغيرهم ،جمعت بينهم وحدة الهدف ، ووحدة -الفكرة- والمشرب -والغاية-[1] وهكذا برزت **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** إلى الوجود رسميا في الخامس من شهر مايو (أيار) سنة **1931** وقد اتخذت مقر لها في بداية تكوينها "**نادي الترقي**" الذي أسس بعاصمة الجزائر في عام **1926** فكانت تعقد فيه اجتماعاتها- وتقيم مؤتمراتها السنوية -وتمارس منه نشاطها العام -وتولى رئاستها منذ البداية الشيخ **عبد الحميد بن باديس** الذي انتخبه زملاؤه رئيسا للجمعية بالإجماع في غيبته، وتولى نيابة الرئاسة الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** الذي استمر يشغل هذا المنصب إلى أن توفي الشيخ **عبد الحميد** في مساء يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الأول عام **1353** هجرية الموافق 16 ابريل سنة**1940** ميلاده أثناء الحرب العالمية الثانية ، فانتخبه أعضاء الجمعية في غيبته بالإجماع ، لرئاستها وهو في منفاه الذي نفاه إليه الاستعمار الفرنسي في آفلو بالجنوب الصحراوي الجزائري من عمالة بوهران[2].

وهكذا انتخب رئيسا للجمعية في كل مرة وبإجماع أصوات الأعضاء وقد استمر الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** ،يشغل هذا المنصب حتى توقفت الجمعية بعد قيام ثورة نوفمبر **1954**- وذلك في عام **1956**- حيث اندمجت في هياكل ومؤسسات[3] جبهة التحرير الوطني مفجرّي ثورة أول نوفمبر المجيدة عام **(1954-1962)** .

---

[1] تركي رابح عمامرة، العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931،1956)ورؤوسها الثلاثة ص:42-43.

[2] المرجع نفسه ص:11-12.

[3] تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر، الطبعة الخامسة 1422هـ ،2001 ، مزيدة ومنقحة ، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار ص: 90-91.

ويذكر الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** أنه "لو تأخر ظهور **جمعية العلماء المسلمين** عشرين سنة أخرى لما وجدنا في الجزائر من يسمع صوتنا .

وقد تقاسم المسؤولون الكبار في **الجمعية** العمل في المراكز الجزائرية الحيوية ووزعوا مسؤولية العمل فيما بينهم بحيث تولى الرئيس **ابن باديس** العمل في مدينة قسنطينة وعمالتها[1].

وتولى الشيخ **الطيب العقبي** نائب الأمين العام للجمعية مسؤولية العمل في العاصمة وعمالتها.

وتولى الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** نائب الرئيس مسؤولية العمل في وهران وعمالتها على أن تكون إقامته في مدينة تلمسان لا في مدينة وهران[2].

[1] تركي رابح عمامرة، العلماء المسلمين الجزائريين ورؤسائها الثلاثة ص:43.
[2] المرجع نفسه ص:92.

التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1956):

جاء في منشور **لجمعية العلماء المسلمين** نشر في جريدة **البصائر** عدد 160 الصادرة في 07 ابريل **1939** ما يلي:

"إن **جمعية العلماء المسلين الجزائريين**، -جمعية إسلامية- في سيرها -وأعمالها - جزائرية في مدارها- وأوضاعها -علمية في مبدئها وغايتها- أسست لغرض شريف - تستدعيه ضرورة هذا الوطن -وطبيعة أهله- ويستلزمه تاريخهم -الممتد في القدم إلى قرون- وأجيال- وهذا الغرض هو -تعليم الدين- ولغة العرب -التي هي لسانه -المعبر عن حقائقه- للكبار في المساجد -التي هي بيوت الله- وللصغار[1] في المدارس- وفق أنظمة - لا تصادم قانونا جاريا- ولا تزاحم نظاما ما- رسميا - ولا تضر بمصلحة أحد -ولا شيء إلى سمعته- فجميع أعمالها- دائرة على الدين -و الدين عقيدة -اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها -وعلى التعليم :التعليم مهنة-اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها وإكبار أهلها"[2].

المبادئ التي ناضلت من أجلها_جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية_(1931-1956):

يمكن اختصار المبادئ التي ناضلت من أجلها جمعية العلماء المسلمين التاريخية - في الشعار المعروف الذي كانت تكتبه على خلاف البعض من كتبها المدرسية -التي يدرس فيها تلامذة مدارسها وهي:

الإسلام ديننا -العربية لغتنا -الجزائر وطننا[3].

---

[1] المرجع السابق ص:33.
[2] المرجع نفسه ص:33-34.
[3] عبد المنعم حنفي، موسوعة الفرق والجماعات والأحزاب والحركات الاسلامية ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الثانية ، 1999 ص:240.

...وكانت جريدة **البصائر** من **(1935-1939)** ثم من عام **1947** إلى عام **1956**- وهي اللسان المركزي **لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين**- تحمل في صدر صفحتها الأولى تحت العنوان مباشرة -الشعار التالي:

وهو (أي شعار الجريدة) العروبة -والإسلام .

وذلك بتقديم لفظ العروبة -على لفظ الإسلام- باعتبار اللغة العربية -وهي لغة القرآن- وبالتالي هي لغة الإسلام -لأن القرآن الكريم هو كتاب الإسلام الأكبر بالإضافة إلى السنة النبوة الشريفة .الشارحة والمبينة لأحكامه التطبيقية. -وطبقا لشعارها:

الإسلام ديننا- والعربية لغتنا- والجزائر وطننا : وهي المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية ماضيا- وحاضرا- ومستقبلا بإذن الله-فقد ناضلت **جمعية العلماء**- نضالا صامدا لا هوادة فيه- ضد كل ما يمس أحد مقومات الشخصية الجزائرية- من قريب -أو بعيد - ولذلك حاربت حربا شعواء الأمور التالية :

1-التنصير.

2-الفرنسية.

3-التجنيس.

4-الإندماج في فرنسا.

كما كانت تحارب حربا شعواء كذلك- ظاهرة زواج الجزائريين بالأوربيات-

وكانت تنادي بأن كل جزائري يتزوج بامرأة أوروبية- فهو بذلك قد ادخل الاستعمار إلى بيته-وقد قامت كل الجرائد **جمعية العلماء** التي أصدرتها خلال عام **1933** وهي :[1]

[1] تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورؤساءها الثلاثة ص:34-35.

1-السنة المحمدية.

2-الشريعة المطهرة .

3-الصراط السوي.

التي أغلقها الاستعمار الفرنسي الواحدة تلوى الأخرى بحيث لم يصدر من كل واحدة منها أعداد قليلة فقط بالإضافة إلى مجلة **الشهاب** للشيخ **عبد الحميد ابن باديس** قامت بحملات ضاربة ضد التجنيس -والاندماج -وضد الزواج بالأوروبيات- وبيان مضارها وأخطارها على الشخصية الجزائرية والأسرة الجزائرية والأطفال الجزائريين.

مبادئ جمعية العلماء المسلمين التي تكونت من أجل تحقيقها:

وتتلخص مبادئ **جمعية العلماء** بصفة إجمالية في الفقرات التالية التي تنقلها من مقال كتبه رئيسها الثاني **محمد البشير الإبراهيمي** -بعد وفاة رئيسها الأول- الشيخ **عبد الحميد بن باديس**- في جريدة **البصائر** العدد الثالث الصادر في عام **1947** وراجع كتاب **عيون البصائر** ص 30 للأستاذ **محمد البشير الإبراهيمي** دار المعارف -**القاهرة 1963** ص34-35 لسان حال **جمعية العلماء** تحت عنوان :

(جمعية العلماء وموقفها من السياسة والساسة)وقد جاء فيه ما يلي:

(يا حضرة الاستعمار-إن **جمعية العلماء** تعمل للإسلام بإصلاح عقائده-وتفهيم حقائقه - وإحياء آدابه -وتاريخه -وتطالبك بحرية التعليم العربي- وتدافع عن الذاتية الجزائرية- التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن -وتعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها - وتاريخها- في موطن عربي- وبين قوم من العرب -وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا -وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم-[1]وتذكر المسلمين اللذين

[1]المرجع السابق ص:35-36.

يبلغهم صوتها بحقائق دينهم-وسير أعلامهم وأمجاد تاريخيهم- وتعمل لتقوية رابطة العروبة -بين العربي والغربي -لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب (**البصائر** العدد الثالث سنة **1947**) .وكتاب **عيون البصائر** 34-35.

أركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

كتب الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في **البصائر** عدد 83 الصادرة في 30 سبتمبر **1937** يقول: العروبة -والإسلام -والعلم والفضيلة- هذه هي أركان نهضتنا- وأركان **جمعية العلماء المسلين الجزائريين** -التي هي مبعث حياتنا -ورمز نهضتنا- فما زالت هذه الجمعية منذ كانت -تفقهنا في الدين- وتعلمنا اللغة- وتنيرنا بالعلم -وتحلينا بالأخلاق الإسلامية العالية -وتحفظ علينا جنسيتنا -وقوميتنا -وتربطنا بوطنيتنا الإسلامية الصادقة[1].

أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

وقد اقتحمت **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** منذ تأسيسها ميدان حرب محفوف بالمزالق- والأخطار- فحاربت أول ما حاربت أنصار الاستعمار- ثم قاومت وحطمت البدع-والضلالات الدينية- التي استغلها الاستعمار تحت ستار الطرقية(الطرق الصوفية المنحرفة) حتى تمكنت من تطهير الدين الإسلامي من الخرافات، والبدع والشعوذات، ثم أخذت في الح ملة التعليمية العربية الإسلامية الكبرى ،فوفقها الله إلى تكوين ذلك الجيل الصالح إلي أخرجته مدارسها والذي هو اليوم قوة العروبة والإسلام في البلاد.

وأوضح نص يمكن ذكره حول أهداف هذه الجمعية هو المقال الشهير التاريخي الذي كتبه الشيخ **البشير الإبراهيمي** في جريدة **البصائر**، (العدد الثالث ،سنة **1947**) والذي جاء في قوله:[2]

[1] المرجع السابق ص:35.
[2] المرجع نفسه ص:43-44.

"يا حضرة الاستعمار: إن **جمعية العلماء** تعمل للإسلام بإصلاح عقائده ، وتفهم ، وإحياء آدابه وتاريخه ، وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها ، وتطالبك باستقلال قضائه، وتسمّي عداونك على الإسلام ولسانه ومعابده وقضائه، عدوانا بريح اللفظ ، وتطالبك بحرية التعليم العربي ، وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعة في الوطن.

*تعمل لإحياء اللغة العربية، وآدابها، وتاريخها ، في موطن عربي، وبين قوم من العرب.

*وتعمل لتوحيد المسلمين في الدين والدنيا.

*وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم.

*تذكر المسلمين اللذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم ، وسير أعمالهم ، وأمجاد تاريخهم .

*وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والغربي ،لأن ذلك طريق لخدمة اللغة والأدب.

أما الشيخ **عبد الحميد بن باديس** ، فيقول عن أهداف **الجمعية** بأسلوب دقيق وبالعبارة الواضحة والصادقة والتي تعبر عن آلام وأوضاع الشعب الجزائري: "إننا نريد نهضة شعبية قوية، تتجلى شخصية الشعب الجزائري ، وتكشف مجد الماضي بما ينير له طريق الحياة،لا أقوال مكررة عن سياسة انتخابية يديرها الاستعمار ، إدارة تزيد في تمكنية من غير أن يشعر بذلك أحد ممن راضهم عليها؛ وسخرهم لخدمتها .ونريد انقلابا جزائريا[1] يرتكز على إعداد نشئ صالح ، تتمثل فيه عنصرية الحدود، فينهض نهضة إسلامية عربية تأخذ من عظمة

[1] المرجع السابق ص:44-12-12.

الماضي ويقظة الحاضر ما يعصمها من الزلل والانحراف ، وهي في طريق المستقبل الباسم..."[1].

أعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

وتحت ستار العمل الديني البحث- ونشر التعليم- والتهذيب -بين أطفال الجزائر- ودروس الوعظ والإرشاد للكبار- من المواطنين ، كانت **جمعية العلماء** تخوض في الأمور السياسية- وتوجه الشعب توجيها عربيا- إسلاميا- ووطنيا- يتناقض تمام المناقضة، مع سياسة الإحتلال وتوجيهه ، بدون أن تستطيع الإدارة الاستعمارية أن تتعرض لها، وكان رجال الجمعية من -الذكاء -والبراعة بحيث يفلتون من مكائد الإدارة- ومن مناورتها بدون أن يمكنوها من فرصة واحدة لمؤاخذتهم ، كما أن **الجمعية** قد تركت لأعضائها الحرية الكاملة في الخوض في المسائل السياسية العامة- بصفتهم الشخصية -لا بوصفهم أعضاء فيها -وبهذه الطريقة كان لكل عضو من أعضائها دوره البارز في الميدان السياسي العام - مع بقية الحركات السياسية الجزائرية -منذ نهاية الحرب العالمية الأولى إلى غاية اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر عام **1954**[2].

دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

والواقع أن **جمعية العلماء** لعبت دورا بالغ الأهمية في التاريخ الجزائري الحديث-بل لا نغالي إذا ما قلنا أنها هي المنظمة الوطنية التي يعود إليها الفضل- في بقاء الإسلام والعروبة في الجزائر حتى اليوم -وتجنيب الجزائر من مخاطر سياسة التجينس والاندماج - التي كان يدعو لها بعض الجزائريين في العشرينات[3]

[1] المرجع السابق ص: 13.
[2] المرجع نفسه ص:45.
[3] المرجع نفسه ص:94-95.

والثلاثينيات من القرن العشرين الميلادي -ويعمل الاستعمار من ناحيته -على فرضها على الجزائريين بكل الوسائل الشيطانية منذ الأيام الأولى للإحتلال كما سبق أن ذكرنا[1].

نشاطات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

يتمثل نشاط الجمعية في الدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح من المتمسك بالقرآن الكريم والصحيح والسنة الشريفة، عرف القائمون بتلك الدعوة ما يلاقوه من مصاعب، وأقحم في طريقها من وضع الدين شبّوا على ما وجدوا عليه آبائهما من خلق التساهل في الزيادات والذيول التي ألصقها بالدين المغرضون وأعداء الإسلام.

ويتضح مما قاله الشيخ **عبد الحميد ابن باديس** أن هدف **الجمعية** سياسي ولكن بوسائل تربوية ، أي مباشرة عملية رد ثقافي على تغريب فرنسي، يحاول قتل الرغبة بالحرية الكامنة في نفوس الجزائريين. وتعتبر **جمعية العلماء** التربية الإسلامية الصحيحة مفتاح الحرية التي بدونها وبدون الإسلام تبقى الجزائر في عبودية لا خروج منها. ومما زاد في أهمية وخطورة هذه التربية الإسلامية تزايد الحملات المعادية للإسلام التي كانت تمارس يوميا من طرف الرهبان **(الآباء البيض)** والتي وصفها الشيخ **البشير الإبراهيمي** بشكل دقيق قائلا:"جاء الاستعمار الدنس إلى الجزائر يحمل السيف والصليب ذلك للتمكن، وهذا للتمكين ، فملك الأرض واستعبد الرقاب وفرض الجزية وسخر العقول والأبدان، ولو وقف عند حدود الدنياويات لقلنا تلك طبيعة الاستعمار الجائع ، تدفعه الشهوات إلى اللذات ، فيجري إلى مداها ويقف ، وتدفعه إلى الحيوانية فيلتقم ولا ينتقم ، ولكنه كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا، وقف الإسلام بالمرصاد من أول يوم، وانتهك حرماته من أول يوم[2] ، فابتز أمواله الموقوفة بالقهر ، وتصرف في معابده بالتحويل والهدم ، وتحكم في الباقي منها بالاحتكار والاستبداد،

[1] من أثار محمد البشير الابراهيمي، عيون البصائر مجموع المقالات التي كتبها افتتاحيات لجريدة البصائر خاصة الجزء 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ص:32-33.

[2] تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورؤساؤها الثلاثة ص:13-14.

وتدخل في شعائره بالتضييق والتشديد ، كل ذلك بروح مسيحية روحانية تشعّ بالحقد، وتفور الانتقام . ولم يكتف بذلك حتى احتضن اليهودية وحمى أهلها ، وأشركهم في السيادة ليؤلبها مع المسيحية على حرب الإسلام ، ويحبذها في الكتائب المغيرة عليه ".

وبهدف مواجهة صليبية حديثة كهذه، كثفت الجمعية نشاطاتها، التي تركزت بشكل أساسي على إنعاش مؤسسات التربية مثل: الكتاتيب القرآنية والمساجد ، وإنشاء مدارس جديدة مستقلة عن الإدارة الفرنسية ، في شكلها ومضمونها.

- ومن الناحية الأولى ، أعدت **الجمعية** مدرسين في الكتاتيب التي انتشرت بسرعة في المدن والقرى والتي كان جزء كبير منها على قيد الحياة ، رغم المخاطر والصعوبات ، وكانت مهمة هؤلاء المدرسين تعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية ، كمدخل لتدريس القرآن وتحفيظه وتلاوته وتفهيمه.
- ومن الناحية الثانية ، أعادت **الجمعية** تنشيط الزوايا ومحاربة الطرقيين من خلال فضح بعض المشايخ الصوفيين الداعين إلى الإستسلام للأمر الواقع واللذين يشكلون دعما قويا ومباشرا للإستعمار واللذين يصفهم الشيخ **البشير الإبراهيمي** بدعائم الاستعمار الروحي الذي: "يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه ، المتاجرون بالدين، المتعاونون على الاستعمار عن رضا وطواعية ".
- ومن الناحية الثالثة، جددت الجمعية نشاط المساجد التعليمي والتربوي، فالجدير بالذكر أن الحملة الفرنسية المعادية للمساجد أسفرت بعد عدة سنوات من الإحتلال على تقليص عدد المساجد إلى 166 مسجدا في مقابل 327 كنيسة و45معبدا يهوديا.
- ومن الناحية الرابعة، أنشأت **الجمعية** مدارس التربية والتعليم في جميع أنحاء الجزائروهما: "مدرسة الراشدية " التي تأسست عام **1902**،ومدرسة التوفيقية التي تأسست عام **1908** في الجزائر العاصمة[1].

[1] المرجع السابق ص:14-15.

أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ومن أهم أعلام هذه **الجمعية** :

أولا: عبد الحميد بن باديس:

-نشأته وحياته:

-مولده:

ولد **عبد الحميد بن المصطفى بن مكي بن باديس** في ليلة الجمعة **1308**هجرية الموافق للرابع من شهر ديسمبر سنة **1889** ميلادية في مدينة قسنطينة[1] بالشرق الجزائري وكان الولد بكر لوالديه.

-أبـــوه :

ووالده هو السيد **مصطفى بن مكي بن باديس** من حملة القرآن الكريم ومن أعيان مدينة قسنطينة وقد كان عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى والمجلس العمالي لعمالة قسنطينة نائبا عن مدينة قسنطينة وقد عرف دائما بدفاعه عن دعم مطالب السكان المسلمين بالعمالة القسنطنية ".

-أمـــــه :

أما أمه فهي السيدة:"**زهيرة بنت علي بن جلول** "من أسرة **عبد الجليل** المشهورة في قسنطينة بالعلم، والجاه ، والثراء العريض[2].

---

[1] عبد القادر فضيل ، محمد الصالح رمضان ، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، شركة دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، طبعة 2010 ص:32.

[2] تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، الطبعة الثانية في الجزائر شهر محرم عام 1424ه، أبريل م2003، منقحة ومزيدة موفم للنشر والتوزيع ص:27-28.

- ***شجرة أسرته:***

وعائلة **عبد الحميد بن باديس** عائلة مشهورة في الجزائر، والمغرب العربي الإسلامي منذ قرون عديدة .

فقد لعبت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الإسلامي ، سياسيا و،علميا ، ودينيا منذ القرن الرابع الهجري وتولى أفراد منها السلطة فيه بعد انتقال مقر الخلافة الفاطمية من القيروان عاصمة إفريقيا ، والمغرب الأوسط إلى مصر في القرن الرابع الهجري.

فقد أسند الخليفة الفاطمي" **المعز لدين الله**" السلطة على إفريقيا والمغرب الأوسط (الجزائر) إلى الجد الأول لأسرة **ابن باديس** وهو الأمير "**بلكين بن زيري بن مناد**"* المكنى بأبي الفتوح والملقب "**سيف العزيز بالله** وهو من قبيلة صنهاجة الأمازيغية "البربرية" المشهورة في الجزائر والمغرب الإسلامي.

ومن رجالات هذه الأسرة المشهورين في التاريخ الذين كانوا يحلوا للشيخ **عبد الحميد بن باديس** أن يفتخر بهم كثيرا"**المعز لدين الله بن باديس**" الذي عمل قبل نهاية حكمه على انفصال المغرب الإسلامي سياسيا ومذهبيا عن الخلافة الفاطمية بمصر ، وحارب الشيعة الرافضة في إفريقيا والمغرب الأوسط(الجزائر) وقتل دعاتهم في سائر بلاد إفريقيا كما يقول **ابن خلدون** ، وأخذ يحمل الناس على اعتناق المذهب المالكي السني، ونبذ المذهب الشيعي الرافضي ، وقد نفذ هذا الانفصال بالفعل في حدود عام **443** هجرية على الأرجح وأصبح يدعو على منابر إفريقيا إلى الخليفة العباسي في بغداد "**القائم بأمر الله**" بدل الدعوة إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة كما كان العمل جريا عليه في السابق[1].

[1] المرجع السابق ص:28-29.

*تولى الإمارة على إفريقيا والمغرب الأوسط (الجزائر) في الفترة من عام 362هـ.

والمعروف أن الدولة الصنهاجية الامازيغية "البربرية" قد حكمت المغرب الإسلامي مايقرب 180 عام **(من 362 إلى 543 هـ)** .

وقد اشتهرت عدة شخصيات من أسرة **بن باديس** في العصر الحاضر في ميادين السياسة والعلم.

ففضلا عن والده الذي كان يتولى عدة مناصب سياسية عليا (عضوا بالمجلس الجزائري الأعلى، والمجلس العمالي بقسنطينة) ، كان عمّه "**حميدة بن باديس**" نائبا عماليا عن مدينة قسنطينة لفترة من حياته في أواخر القرن التاسع عشر واشترك مع ثلاثة من زملائه النواب في عام **1891** وفي كتابة عريضة بأنواع المظالم والإضطهادات التي أصبح يعانيها الشعب الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر ميلادي من الإدارة الاستعمارية والمستوطنين الأوروبيين اللذين استحوذوا على الأراضي الخصبة من الجزائريين وتركوهم للفقر والجوع وقاموا بتقديمها إلى أحد أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي الذي حضر إلى الجزائر من أجل البحث وتقصي الأحوال فيها كي يقدمها بدوره إلى الحكومة الفرنسية وأعضاء البرلمان الفرنسي في باريس، وذلك بتاريخ 10 أفريل سنة **1891** أي بعد ولادة **عبد الحميد بن باديس** بحوالي ثلاث سنوات فقط.

أما من اشتهر من أفراد هذه الأسرة في الناحية العلمية فنذكر من بينهم الشيخ "**أبو العباس حميدة**" قاضي قسنطينة المشهور ، والشيخ "**مكي بن باديس** الذي تولى القضاء بها أيضا وكانا معروفين بغزارة العلم، وسعة الإطلاع ، في الفقه والعلوم الإسلامية الأخرى[1].

[1] المرجع السابق ص:28-29.

تعليمه وأساتذته :

وقد تلقى **عبد الحميد بن باديس** تعلمه على الطريقة التقليدية فحفظ القرآن الكريم أولا وسنه يبلغ ثلاثة عشر عاما ، وكان المؤدب الذي حفظ عليه القرآن الكريم معجبا به إعجابا كبيرا نظرا لذكائه، واستقامته وسيرته الطبية، ولذلك قدمه لإمامة المصلين في صلاة التراويح في شهور رمضان المعظم لمدة ثلاث سنوات متوالية في الجامع الكبير بمدينة قسنطينة.

ولم يلتحق **عبد الحميد بن باديس** بالمدارس الفرنسية كغيره من أبناء العائلات الكبيرة في ذلك الوقت لأن والده فضّل أن يربيه تربية إسلامية خالصة.

وبعد الانتهاء من حفظ القرآن الكريم وكان ذلك في عام **1903** اختار له والده احد علماء مدينة قسنطينة المشهورين بالعلم والتقوى والصلاح (حمدان لونيسي) كي يلقنه العلوم العربية والإسلامية فشرع يدرس له في مسجد سيدي **محمد النجار** الواقع بجانب جامع سيدي **عبد المؤمن** في مدينة قسنطينة وذلك في حدود عام **1903**.

وفي عام **1908** عندما أصبح عمر **عبد الحميد بن باديس** تسعة عشر عاما، أراد أن يستكمل تعليمه الثانوي والعالي فسافر إلى تونس في نفس العام للدراسة بجامع الزيتونة المعمور.

وفي رحاب الجامع الأعظم كما كان يطلق عليه إلى وقت قريب تفتح عقل **عبد الحميد بن باديس** وذهنه على آفاق واسعة من الثقافة الإسلامية واطلع على عدد وافر من الكتب والمصادر الهامة للدراسات الإسلامية والأدبية التي لم يعرفها في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة في الجزائر[1].

[1] المرجع السابق ص:29 -30.

وقد أقبل على العلم بشغف كبير يعب منه عبا ، وعلى مطالعة الكتب خارج أوقات الدراسة إقبالا كبيرا حتى حصل خلال سنوات قلائل على زاد وافر من الثقافة الإسلامية في شتى فروعها ، والأدب العربي بمختلف فنونه.

وقد مكث طالبا مكبا على العلم والتعلّم في جامع الزيتونة مدة أربع سنوات نال في نهايته شهادة " **العالمية**" في العام الدراسي **1911-1912**.

وعمره حينذاك ثلاثة وعشرون عاما -ثم مكث عاما خامسا في تونس قضاه مدرسا في جامع الزيتونة على عادة الطلبة المتخرجين في ذلك الوقت حيث يقضي الواحد منهما عاما للتدريس لطلبة الجامع الأعظم قبل أن يعود إلى بلاده وقد كان **عبد الحميد بن باديس** معروف بين زملائه وأساتذته بالجد في العمل والإجتهاد في تحصيل العلم، والإقبال على دروسه، كما كان مشهورا بين مخالطيه بالإستقامة، والخلق السمح القويم، وبالمواظبة على أداء الفرائض الدينية في أوقاتها ، والبعد عن مواطن الزلل والشبهات وكل ما يشين الخلق والرجولة ، والشرف[1]

أساتذته:

يمكن تقسيم أساتذة **عبد الحميد بن باديس** إلى قسمين:

القسم الأول: هم الأساتذة اللذين درس عليهم فعلا ، وهؤلاء عددهم كثير نذكر منهم الأساتذة التالية أسماؤهم فقط ، وهم :

- **الشيخ محمد المداسي:** [2]وهو الذي حفظ على يديه القرآن الكريم بمدينة قسنطينة وهو أول معلم **لعبد الحميد بن باديس.**

[1] المرجع السابق ص:30-31.
[2]المرجع نفسه ص:31-32.

❖ **الشيخ أحمد أبو حمدان لونيسي:** وهو الأستاذ الذي تلقى عليه دراسته الإبتدائية في اللغة العربية والثقافة الإسلامية بمدينة قسنطينة قبل أن يسافر للدراسة في جامع الزيتونة بتونس سنة **1908**.

وقد كان للشيخ "**حمدان لونيسي** " العالم المتصوف تأثير بعيد المدى في شخصية **ابن باديس** وتوجيهه العام ظل يذكره بإجلال كبير طوال حياته.

وقد أوصاه "أن يقرأ العلم للعلم لا للوظيفة وللرغيف " وأخذ عليه عهدا غليظا ألايقرب الوظائف الحكومية عند فرنسا أبدا حتى لا تكبله بقيودها الثقيلة .

وقد نفذ **عبد الحميد بن باديس** وصية أستاذه تنفيذا كاملا فلم يقبل الوظائف التي عرضت عليه ولم يسع وراءها حتى وافاه أجله المحتوم . كما أوصى هو بدوره تلامذته ألا يقربوا الوظائف الحكومية عند فرنسا ولا يقبلوها إذا عرضت عليهم حتى يعيشوا أحرار لأفكارهم ومبادئهم ورسالتهم الإصلاحية.

❖ **الأستاذ محمد النخلي الفقراوي الأستاذ بجامع الزيتونة،** وزعيم النهضة الفكرية به.[1]

❖ **الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور الأستاذ بجامع الزيتونة،** وباعث النهضة الإصلاحية بالجامع الأعظم.

❖ **الأستاذ محمد الخضر بن الحسين،** الذي درس عليه في الزيتونة وفي منزله بتونس قبل أن يهاجر إلى الشرق العربي ويستقر به.

❖ **الأستاذ محمد الصادق النيفر:** أستاذ بجامع الزيتونة.

❖ **الأستاذ سعيد العياضي (الجزائري) الصلح المجدد.**

❖ **الأستاذ محمد بن القاضي الأستاذ بجامع الزيتونة.**

❖ **الأستاذ أبو محمد بلحسن بن الشيخ المفتي النجار** :الأستاذ بجامع الزيتونة.

[1] المرجع السابق ص:32 -33.

❖ **الأستاذ البشير صفر السياسي والمؤرخ التونسي المعروف.**

ويذكر الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في مجلة **الشهاب** وفي جريدة **البصائر** أن الأساتذة اللذين أثروا في تكوينه الفكري وفي اتجاهه الإصلاحي والوطني الذي التزمه طوال حياته لا يتجاوز عددهم أربعة أساتذة فقط وهم على الترتيب التالي:

أ-**الشيخ حمدان لونيسي المتصرف القسطيني الجزائري:** المهاجر إلى مدينة المنورة والمدفون بها. وقد كان له تأثير كبير في تكوينه العلمي والعملي معا وهو الأستاذ الأول الذي تلقى عليه دراسته الابتدائية في قسنطينة قبل أن يسافر إلى الدراسة في جامع الزيتونة بتونس كما ذكرنا منذ قليل.

ب-**الشيخ محمد الطاهر بن عاشور** : الذي يصفه بأنه ثاني الرجلين اللذين يشار إليهما (في تونس) بالرسوخ في العلم والتحقيق في النظر والسمو في التفكير.

ولقد بدأ اتصاله به قبل حصوله على شهادة العالمية بعام واحد ولازمه مدة ثلاث سنوات وكان قبل ذلك يصرفه البعض من أساتذته الجامدين عن الاتصال به بدعوى أنه من رجال البدعة في زعمهم لأنه من أتباع مدرسة **جمال الدين الأفغاني** ، و**محمد عبده** ، من العاملين على نشرها في أوساط طلبة جامع الزيتونة.

وقد درس **ابن باديس** عليه الأدب العربي في ديوان الحماسة **لأبي تمام** وتأثر به في تكوين ذوقه الأدبي واللغوي تأثرا كبيرا صوره لنا بقوله :" وأن أنس فلا أنسى دروسا قرأتها من ديون الحماسة على الأستاذ **ابن عاشور**[1]، وكانت من أول ما قرأت عليه فقد حببني في الأدب والتفقه في كلام العرب، وبثت في روحا جديدا في فهم المنظوم والمنثور وأحيت في الشعور بغر العروبة والإعتزاز بها كما اعتز بالإسلام".

ج-**الشيخ محمد النخلي القيرواني:** الذي تأثر عميقا من ناحية فهم القرآن الكريم وتفسيره.

[1] المرجع السابق ص:33-34.

والشيخ النخلي* والشيخ ابن عاشور، يعتبران من رواد النهضة والإصلاحية بتونس في العصر الحديث، كما يعتبان من ابرز أتباع دراسة الإمام **محمد عبده** والعاملين على نشرها في تونس[1].

والشيخ **محمد الطاهر بن عاشور*** هو الذي عرّف **ابن باديس** بالشيخ **النخلي** ومهد له سبيل التعرف عليه والاتصال به.

ويحدثنا الشيخ عبد الحميد بن بادي عن أول معرفته بهذين الأستاذين اللذين تأثر بهما في الناحية العلمية والأدبية، وعن كيفية اتصاله بهما أول مرة، فيقول: "عرفت هذا الأستاذ **(الطاهر بن عاشور)** في جامع الزيتونة ، وهو ثاني الرجلين اللذين يشر عليهما بالرسوخ في العلم ، والتحقيق في النظر ، والسمو والاتساع في التفكير -أولهما العلامة الأستاذ شيخنا **(محمد النخلي)** القيرواني _رحمه الله_، وثانيهما الأستاذ شيخنا **(الطاهر بن عاشور)** وكانا كما يشار إليهما بالضلال والبدعة وما هو أكثر من ذلك لأنهما كانا يحبذان آراء الأستاذ **(محمد عبده)** في الإصلاح ويناضلان عنها ويبثانها فيمن يقرا عليهما- وكانا هذا ما استطاع به الوسط الزيتوني ان يصرفني عنهما وما تخلصت من تلك البيئة الجامدة ، واتصلت بهما حتى حصلت على شهادة "العالمية" ووجدت لنفسي الإختيار فاتصلت بهما عامين كاملين ، كانا لهما في حياتي العلمية أعظم الأثر على أن الأستاذ **ابن عاشور** اتصلت به قل نيل الشهادة بسنة فكان لك تمهيدا لاتصالي الوثيق بالأستاذ النخلي".

د-الأستاذ البشير الصفر: وقد أرجع إليه **ابن باديس** الفضل في معرفته بالتاريخ العربي والإسلامي والقومي مما كون منه جنديا من جنود الجزائر.

---

[1] المرجع السابق :ص34-35.

*توفي في رجب سنة 1342 هـ(1924م).

* ولد بتونس سنة 1879 وتقلد عدة مناصب علمية منها : قاضي القضاة سنة 1921، عمادة مجلس الشورى المكي، ومشيخة جامع الزيتونة ، وقد أدخل عدة إصلاحات جوهرية في مناهجه الدراسية وله مجموعة من المؤلفات المذكورة في كتابه : أصول النظام الاجتماعي في الإسلامي تونس، سنة 1964، المطبعة الرسمية.

ويعتبر الأستاذ بشير صفر الذي درس في أوروبا ويعرف عدة لغات حية من المصلحين المجددين في تونس ومن بناة النهضة العلمية والفكرية الحديثة بها ، وكان يشغل بالتدريس في جامع الزيتونة ومدرسة الخلدونية وقد قلد عدة مناصب علمية وسياسية في تونس[1].

يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "وأنا شخصيا أصرح بأن كراريس "**البشير الصفر** "صغيرة الحجم الغزيرة العلم، هي التي كان لها الفضل في إطلاعي على تاريخ أمتي، وقومي، والتي نزعت في صدري هذه الروح التي انتهت بي اليوم لأن أكون جنديا من جنود الجزائر".

والجدير بالملاحظة أن الشيخ **عبد الحميد بن باديس** يرجع الفضل في تكوينه العلمي والفكري إلى هؤلاء الأساتذة اللذين ذكرناهم فهم اللذين علموه العلم وخطوا له مناهج العمل في الحياة ولم يبخسوا استعداده الفطري حقه –يقول:"وأذكر منهم رجلين كان لهما الأثر البليغ في تربيتي وفي حياتي العملية وهما من مشائخي اللذين تجاوزوا بي حد التعليم المعهود من أمثالهم لأمثالي إلى التربية والتثقيف، والأخذ باليد إلى الغايات المثلى في الحياة أحد الرجلين الشيخ **حمدان لونيسي** "القسنطيني نزيل المدينة المنورة ودفينها وثانيهما الشيخ **محمد النخيلي**" المدرس بجامع الزيتونة المعمور رحمهما الله".

ثم يفصل فضل هذين الأستاذين عليه في توجهه من الناحية العلمية والعملية مما كان له تأثيره الكبير في حياته، فيقول :"وأني بالذكر الأول **(حمدان لونيسي)** وصية أوصاني بها وعهدوا عهد به إلي وأذكرذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله، فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنه لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشد د على ألا أقرب الوظيفة ولا أعارضها ما حييت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعله أمثالي في ذلك الوقت.

[1] المرجع السابق ص:35-36-37.

وأذكر للثاني **(النخلي)** كلمة لا يقل أثرها في ناحيتي العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العلمية ، وذلك إنني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهما المذهبية في كلام الله ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال ، حتى في دين الله وكتاب الله ، فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيماأجده في نفسي من التبرم والقلق، فقال :"اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة، وهذه الأقوال المختلفة ، وهذه الآراء المضطربة، يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتسريح فوا الله فتح بهذه الكلمات القليلة على ذهني أفاقا واسعة لا عهد له بها.

أما القسم الثاني: من أساتذة **عبد الحميد بن باديس** فهم اللذين لم يتلق عليهم العلم بطريق مباشر وإنما تتلمذ عليهم عن طريق آثارهم وكتابتهم ، وقد حدثنا عن واحد منهم حديثا مفصلا وهو الأستاذ **(طاهر** الجزائري**)** المهاجر من الجزائر إلى ديار الشام .

وقد أرجع إليه الفضل في تكوين فكرة منذ أن كان صغيرا إلى أن أصبح رجلا وكان يدعوه "شيخي" وقد كتب عنه دراسة طويلة في مجلة **الشهاب** تحت عنوان "شيخي" جاء فيها قوله:"هو الذي ربى عقلي ، وهوالذي حبّب إلي هذا الإتجاه الفكري ، منذ أن كنت طفلا إلى أن صرت رجلا، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام إلا وقد كانت له صلة إما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه..." وبالإجمال هو جرثومة الخير الأولى.

ومنهم الشيخ **محمد عبده** الذي تأثر بأفكاره وآرائه الإصلاحية عن طريق مجلة "**المنار**" التي كان الشيخ **عبد الحميد بن باديس** ينقل منها بعض المقالات وينشرها في مجلة **الشهاب**، كما كانت له مراسلات وكتابات مع صاحبها **رشيد رضا** تلميذ الإمام **محمد عبده**[1].

[1] المرجع السابق ص:37-38.

ومنهم الإمام **أبو بكر بن العربي** المتوفى سنة **543** هجرية صاحب كتاب "**العواصم من القواصم**" الذي نبهه إليه الشيخ **محمدا لنخلي** فبحث عنه وقرأه ثم استنسخه وقام بطبعه في جزأين بعد عودته إلى الجزائر من تونس وقدم له بمقدمة هامة.

ويظهر تأثير الإمام **أبي بكر بن العربي** في الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في كتابه"**العقائد الإسلامية**" الذي لم يلك فيه مسلك الفلاسفة[1]، ولا منهج المتكلمين وإنما نهج فيه نهج القرآن الكريم في الاستدلال وأساليبه في الرد والحجاج ، ذلك المنهج الذي مع الفطرة الإنسانية فتستجيب له وتطمئن إليه وتميل نحوه وتركن".

ومنهم الشيخ **(محمد بخيت المطيعي)** العالم الأزهري المشهور وزميل الإمام **محمد عبده** والمدافع عنه والحامل للفكرة الإصلاحية في الأزهر وهو أحد تلامذة السيد **(جمال الدين الأفغاني)**.

وقد اتصل به الشيخ **عبد الحميد بن باديس** إثناء رجوعه من الحج سنة **1913** وزاره في بيته* بحلوان وكتب له إجازة في دفتر إجازاته وعند وفاته سنة **1935** ترجم له ابن باديس في مجلة "**الشهاب**" ترجمة وافية. وقد كان **ابن باديس** يتمتع باحترام أساتذته الكبير نظرا لجده ومتانة خلقه وغزارة علمه ، والدليل على ان ذلك انه عندما كتب رسالة تحت عنوان "**رسالة جواب سؤال عن سوء مقال**" في عام **1340** هجرية للرد على الشيخ **ابن عليوة** المتصرف وشيخ الطريقة العليوية في مستغانم بالمغرب الجزائري في البدع التي أحدثها في الدين، قام عدد كبير من أساتذته بتقريظها وأرسلوا إليه بتقاريظهم تباعا فطبعها ونشرها في الجزء الأخير من الرسالة المذكورة كما نشر فيها كذلك أسماء العلماء المقرظين مع بيان وظائفهم وبلدانهم.

---

[1] المرجع السابق ص:37-38.

*ولد الشيخ محمد بخيت المطيعي بقرية المطايعة بمحافظة أسيوط ، والتحق بالأزهر سنة 1282هـ ، ودرس الفقه على المذهب الحنفي والفلسفة على جمال الدين الأفغاني وحسن الطويل وحصل على شهادة "العالمية" سنة 1229هـ. وتولى عدة مناصب منها مفتي الديار المصرية سنة 1914وتوفي1935.

رحلاتـــــــــــه:

في عام **1908** حل الشيخ **عبد الحميد بن باديس** لأول مرة في حياته إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة وفي عام **1903**م عاد من تونس إلى مسقط رأسه بمدينة قسنطينة في الشرق الجزائري فاحتفلت به أسرته احتفالا كبيرا ، وشرع على الفور يلقي دوسا عامة في الجامع الكبير على رواده ، من كتاب "**الشفاء**" للقاضي **عياض**، ولكن الدسائس بدأت تحاك حوله من خصوم الإصلاح والتجديد حتى حيل بينه وبين التدريس في الجامع المذكور ، فتطلعت نفسه إلى القيام برحلة طويلة إلى بيت الله الحرام وزيارة أقطار المشرق العربي.

وقد قام في نفس العام**1391** بالرحلة المذكورة فقصد بيت الله الحرام ومكث في المدينة المنورة ثلاثة أشهر ألقى فيها دروس عديدة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى فيها بعلماء ومفكرين من كافة أنحاء العالم الإسلامي، كما التقى فيها بشيخه السابق الأستاذ"**حمدان لونيسي**" الذي هاجر قبل ذلك **1908** من الجزائر بقصد الإقامة الدائمة في المدينة المنورة فرارا من مضايقة السلطات الإستعمارية له في الجزائر كما هاجرت عائلات جزائرية كثيرة من الجزائر في مطلع (القرن العشرين الميلادي) إلى الحجاز والشام وتركيا وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية لنفس السبب، وفي المدينة المنورة تعرف لأول مرة في حياته على الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** العالم والكاتب والأديب الجزائري المعروف الذي كن قد هاجر قبل ذلك إلى المدينة المنورة **1911**ملتحقا بوالده المقيم فيها، وقد ربطت بينه وبين الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** صداقة متينة كانت من أنعم الصدقات وأبركما على الجزائر، والعلم، والإصلاح فيها، وقد عرض عليه الشيخ **(حمدان لونيسي)** للمرة الثانية الهجرة الدائمة من الجزائر والإقامة في الحجاز[1] ولكن الشيخ "**حسين أحمد الهندي** الذي تعرف عليه الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في المدينة المنورة أشار عليه بعدم تلبية رغبة أستاذه وضرورة الجوع إلى الجزائر لحاجتها إلى علمه وعمله فعمل بنصيحة هذا الشيخ

[1] المرجع السابق ص:40-41.

الحكيمة ولم يعمل بنصيحة شيخه السابق ، ولذلك عاد إلى الجزائر ورفض الإقامة الدائمة في الحجاز.

يقول الشيخ **عبد الحميد بن باديس** معلقا على هذه الواقعة "أذكر أنني لما زرت المدينة المنورة واتصلت فيها بشيخي الأستاذ "**حمدان لونيسي**" المهاجر الجزائري وشيخي "**حسين أحمد الهندي**" أشار على الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة وقطع كل علاقة لي بالوطن وأشار علي الثاني –وكان عالما حكيما– بالعودة إلى الوطن وخدمة الإسلام فه والعربية بقدر الجهد، فحقق الله رأي الشيخ الثاني ورجعنا إلى الوطن بقصد خدمته، فنحن لا نهاجر نحن حراس الإسلام والعربية والقومية بجميع مدعماتها في هذا الوطن"وقد لازم الشيخ عبد الحميد ابن باديس، الشيخ الإبراهيمي طيلة الأشهر الثلاثة التي قضاها بها، وكانا يقضيان وقتهما يبحثان ويدرسان أوضاع الجزائر المتردية من جميع النواحي ويفكران في وسائل العمل من أجل النهوض بها من الكبوة التي أوقعها بها الإستعمار ورجال الطرق الصوفية المتعاون أكثرهم معه.

ويقول الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** مصورا لنا لقاءه بالشيخ **عبد الحميد ابن باديس** في المدينة المنورة :"كان من تدابير الأقدار الإلهية للجزائر ومن مخبآت الغيوب لها أن يرد على بعد استقراري بالمدينة المنورة سنة وبضعة أشهر أخي ورفيقي في الجهاد بعد ذلك الشيخ **عبد الحميد بن باديس** أعلم علماء المال الإفريقي ولا أغالي وباني النهضات العلمية ، والأدبية ، والاجتماعية، والسياسية، للجزائر...كنا نؤدي صلاة فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح[1]، ثم نفترق إلى الليلة الثانية إلى نهاية ثلاثة أشهر التي أقامها الشيخ بالمدينة المنورة كانت هذه الأسمار المتواصلة كلها تدبير للوسائل التي تنهض بها الجزائر ووضع البرامج المفصلة لتلك النهضات الشاملة

[1] المرجع السابق ص:40-41-42.

التي كانت كلها صور ذهنية تتراءى في مخيلتنا، وصعبها من حسن النية وتوفيق الله ما حققها في الخارج بعد بضع عشرة سنة.

وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام **1913** ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى **لجمعية المسلمين الجزائريين** التي لم تبرز للوجود إلا في عام **1931**.

وفي أثناء عودة **ابن باديس** من الحجاز إلى الجزائر طاف بعدة أقطار عربية فزار سوريا ولبنان ومصر واجتمع برجال الفكر والعلم والأدب فيها، وزار الأزهر الشريف ووقف على أساليب الدراسة فيه واتصل بالشيخ **(إسماعيل جغري)** الذي كانت له سابق معرفة به ، يقول **ابن باديس** : "لما رجعت من المدينة المنورة على ساكنها وآله الصلاة والسلام سنة **1332** هجرية ،جئت من عند شيخنا العلامة الشيخ **(حمدان لونيسي)** المهاجر إلى طيبة والمدفون بها –رحمه الله–، جئت بكتاب الشيخ **بخيت** وزرت الشيخ **بخيت** بداره بحلوان مع صديقي الأستاذ إسماعيل جغري المدرس اليوم بالأزهر فلما قدمت له كتاب شيخنا**(حمدان)** ، قال لي :"ذاك رجل عظيم " وكتب لي إجازة في دفتر إجازتي بخط يده[1].

العوامل التي أثرت في تكوين شخصية ابن باديس:

هناك مجوعة من العوامل تظافرت على تكوين شخصية **عبد الحميد بن باديس** من الناحية النفسية، والفكرية، والأخلاقية، والوطنية، فجعلت منه هذه الشخصية الفذّة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

وقد أشار إليها في خطاب له في وفود المحتفلين بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم في مدينة قسنطينة في جوان سنة **1938** وراجع إليها الفضل فيما بلغه من مكانته علمية وإجتماعية وسياسية مرموقة في الجزائر[2].

[1] المرجع السابق ص:41-42.
[2] الزبير بن رحال ، من أعلام الجزائر الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية و الفكرية1940-1889، دار الهدى عين مليلة الجزائر ص:27.

ونحن نذكرها مرتبة كما وردت في خطابه المذكور:

أولا : توجه والده الصالح له :

العامل الأول هو توجيه والده الصالح له حيث رباه تربية دينية وخلقية فاضلة، ووجه وجهة صالحة في الحياة ، واختار له طريق العلم على ما عداه وانتقى له معلمين ممتازين يجمعون إلى العلم –التقوى والصلاح والاستقامة –الخلقية وأصبغ عليه رعايته وهو صغير ، وأعاشه وبراه كالسهم وكفاه مؤونة الحياة وهو كبير– وحماه من كيد الكائدين ، وحسد الحاسدين ، ووقاه من بطش الإدارة الاستعمارية، ووفر له كل أسباب الحياة كي يتفرغ لأداء رسالته على الوجه الأكمل ، دون أن يشغله فكره أو باله بالناحية المادية اللازمة لحياته.

وقد كانت نفسية الشيخ عبد الحميد بن باديس تنفر بطبيعتها من الإنغماس في الأمور المادية، ولا تميل إلى خرف الحياة وبهاجرها، لذلك اكتفى من دنياه بالزاد القليل الضروري للحياة فقط واستغنى عن كل ما عداه، فقلت حاجاته– وانحصرت طالبه في أمور قليلة –فلم يحمل والده عناءا كبيرا أو عبئا ثقيلا في إعاشته –هذا بالإضافة إلى أسرته العريض الذي مكنها القيام بتلبية مطالبه صغيرا وكبيرا دون إرهاق أو إعنات .. وقد كان والده رجلا صالحا ومن حفظة القرآن الكريم كما ذكرنا من قبل ولا يخفي علينا الدور الفعال الذي تلعبه الأسرة في تربية الطفل –ورعايته– وتوجيهه– من الناحية النفسية– والخلقية– والاجتماعية– فهي المدرسة الأولى التي يتقرر فيها مصيره مستقبلا ، كما يؤكد ذلك علماء التربية وعلم النفس الطفل ، يقول ابن باديس مصورا هذا العامل في تكوينه : "إن الفضل يرجع أولا إلى والدي الذي رباني تربية صالحة ووجهني وجهة صالحة –ورضي لي العلم طريقة أتبعها ومشربا ارده ، وقاتني وأعاشني وبراني كالسهم وراشني وحماني من المكاره صغيرا وكبيرا وكفاني كلف الحياة"[1].

[1] المرجع السابق ص:27-28.

ثانيا: علم أساتذته وتوجيهه ونصحهم له :

والعامل الثاني : يعود الى البيئة العلمية التي نشأ فيها **عبد الحميد بن باديس** وتكوّن فيها عقله، وذهنه ، وفكره ، وقد سبق أن ذكرنا بأن والده كان يختار له الأساتذة الذين يعهد إليها بتعليمه وتثقيفه بعناية بالغة، حرصا منه في أن يوفر لابنه الجو التربوي والعلمي السليم لذلك كان لهؤلاء الأساتذة تأثير كبير طوال حياته.

فقد تعهدوه بالرعاية والتوجيه والصقل المستمر لمواهبه واستعداداته الفطرية الكامنة ، وتجاوزوا به حد التعليم والتثقيف إلى التربية والتهذيب والتوجيه السديد. يقول الشيخ **عبد الحميد ابن باديس:** "ثم لمشائخي الذين علموا العلم ، وخطوا لمناهج العمل في الحياة ، ولم يبخسوا استعدادي حقه"[1].

ثالثا: مؤازرة زملائه في جمعية العلماء له :

والعمل الثالث يعود إلى مؤازرة زملائه وإخوانه في **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** اللذين ساندوه –وآزروه– في الأعمال التي قام بها من أجل النهضة الجزائرية وتحملوا معه المشقات والأتعاب واحتضنوا معه الحركة الإصلاحية السلفية– التي بدأها قبل الحرب العالمية الأولى– حتى أينعت وازدهرت فعمت الجزائر من أدناها إلى أقصاها في الفترة ما بين الحربين العالميتين **(1920–1940)** وفي الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين الميلادي.

ومن عادة الشيخ **عبد الحميد بن باديس** أنه كالجندي المجهول ينسى نفسه وينسب الفضل في حققه من عمل –الأمة والوطن– إلى إخوانه وزملائه في **جمعية العلماء** اللذين شاركوه في تحمل ال مسؤولية وقفوا إلى جانبه في وقت المحنة والشدة[2].

---

[1] المرجع السابق ص:28.
[2] المرجع نفسه ص:28.

وقد كانت عصبة الشيخ **عبد الحميد بن باديس** التي برزت إلى الوجود في عام **1931**وفي منظمة "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين**" عصبة تتصف بغزاة العلم والوطنية الصحية وتعمل في انسجام وودقل أن يوجد في الهيئات الأخرى . يقول الشيخ **عبد الحميد بن باديس** :إذا كنت استمد القوة والحياة وإنما استمدها ممن أولوني شرف الثقة، والإخلاص لديني ولأمتي، وأخص منهم الأسود الكبار، وهم إخواني الأقوياء من رجال العلم الذين أجدني مهما وقفت موقفا إلا وجدتهم معي كالأسود". لذلك كان هؤلاء العلماء من زملائه ورفاقه في **جمعية العلماء** عاملا قويا من عوامل تكوين شخصيته، وبروزها عل الشكل الذي عرفها الناس به، صلبة في الحق- ثابتة عل المبدأ-قوية الإيمان بالله ونصره، لا تتغير، ولا تتزعزع في وجه العواصف مهما اشتد هياجها، وطمى سيلها[1].

رابعا : تجاوب الشعب الجزائري معه :

والعامل الرابع ، يعود إلى الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من خصام الكرم والنجدة والشهامة، وأصول الكمال الإنساني والإستعداد الكامل للبذل والعطاء والتضحية بكل غال ونفيس من أجل المصلحة العامة.

وقد عمل الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في بناء تلك الخصال الحميدة في الذين تعلموا على يديه من بنات وأبناء الجزائر ومحاولة تغليبها على عوامل السلبية والأنانية، والفردية، واللامبالاة ، حتى تستطيع الجزائر أن تتغلب على واقعها الفاسد الذي وصلت إليه بعد قرن من الإحتلال الغاشم للوطن.

ويصف **ابن باديس** الأمة الجزائرية بأنها: "أمة معوانة على الخير منطوية على استعدادات الكمال، وأنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل ويعتبر الطينة الجزائرية طينة علم وذكاء إذا واتتها الظروف"[2].

[1] المرجع السابق ص:28.
[2] المرجع نفسه ص:28-29.

خامسا : تأثره بالقرآن الكريم :

والعامل الخامس والأخير من عوامل تكوين شخصية **ابن باديس** هو القرآن الكريم وهذا العامل يفوق غيره من العوامل السابقة وقد وهب له الشيخ **عبد الحميد بن باديس** الجزء الأكبر من حياته الخصبة يتعلمه وبتدبره ، ثم يفسره للناس في الجامع الأخضر بمدينة قسنطينة من أجل هدايتهم به حتى أتمه تفسيرا ودراسة في خمسة وعشرين عاما .

والمعروف أنه لم يختم القرآن تفسيرا في الجزائر أحد غيره منذ ختمته "**ابو عبد الله التلمساني** " في المائة الثامنة للهجرة، وذلك رغم مشاغله الكثيرة التربوية والصحافية والاجتماعية.

وكان ينشر البعض من تلك الدروس كافتتاحات لمجلة " **الشهاب** " تحت عنوان "**مجالس التذكير**" بعد صدورها ابتداء من عام **1927** ، غير أنه لم يتمكن –مع الأسف الشديد– من تسجيله كله كتابة لكثرة مشاغله، ولم يقيض الله له من يقوم بتسجيله نيابة عنه أثناء الدرس، وينشره على الناس كما فعل الشيخ **رشيد رضا** بدروس الإمام **محمد عبده** في التفسير حيث سجلها في مجلة "**المنار**" ثم بعد ذلك جمعها في كتاب خاص تحت عنوان "**تفسير المنار**" بعد أن أضاف إليها دروسا أخرى من عنده مكملة لها على طريقة **محمد عبده** في التفسير.

وقد ضاع على الجزائر والمسلمين كنز لا يقدر بمال بسبب عدم تسجيل تفسير **ابن باديس** كله[1].

[1] المرجع السابق ص:29.

وفاته ومؤلفاته:

توفي رحمة الله عليه في ليلة الثلاثاء الثامن من ربيع الأول سنة 1359 هـ الموافق ل6أبريل سنة 1940م في مسقط رأسه بمدينة قسنطينة إثرى مرض سرطان في الأمعاء ودفن في مقبرة آل باديس الخاصة في مدينة قسنطينة رغم وصيته التي أوصى فيها بدفنه في مقبرة شعبية عامة.

وقد ترك من ورائه تراثا ضخما في العلم –والأدب– والتاريخ –والصحافة– وفي تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف –وفي السياسة والتلاميذ الأوفياء– صار اليوم بعد استقلال الذي عمل الشيخ **عبد الحميد بن باديس** أكثر من ربع قرن من أجله –مرجعا خصبا للدراسات الجامعية الرصينة داخل الجزائر– وفي المشرق العربي– وفي أوروبا وأمريكا– وفي جامعات عديدة في العلم كله[1].

ثانيا :الشيخ البشير الإبراهيمي:

ولد **البشير الإبراهيمي** يوم الخميس عند طلوع الشمس في الثالث عشر من شهر شوال ست وثلاثمائة وألف، ويوافق الرابع عشر من يونيو سنة **1889**، وتعرف قبيلته بأولاد إبراهيم بن يحيى بن مساهل، وترفع نسبها إلى ادريس بن عبد الله الجد الأول للأشراف الأدارسة.

وحفظت القرآن ومتون العلم الكبيرة وأنا ابن تسع سنين– وتلقيت علوم الدين والعربية في بيت أسرتي على عمي القائم بتربيتي الشيخ **محمد المكي الإبراهيمي** وكان علامة زمانه في العلوم العربية.

ومات عمي وأنا ابن أربع عشرة سنة بعدان أجازتي في العلوم التي تلقتها عليه[2].

---

[1] رابح عمامرة ، عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة ص:109-110-111.
[2] أحمد طالب الابراهيمي ، آثار البشير الابراهيمي، الجزء الخامس ص:271.

وهبني الله حافظة خارقة ، وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يحكى عن السلف وكانتا معينتين لي في تحصيل العلم في هذا السن.

بعد موت عمّي خلفته في إلقاء الدروس على تلامذته وغيرهم إلى أن جاوزت العشرين سنة.

بيتنا عريق في العلم خرج منه أفذاذ في علوم الدين والعربية في الخمسة قرون الأخيرة، بعد انحطاط عواصم العلم الشهيرة في المغرب.

رحلت إلى المدينة المنورة أنا ووالدي مهاجرين، فرارا من الاستعمار الفرنسي ، فكنت من مدرسي الحرم النبوي الشريف، وتلقيت فيها علم التفسير، وعلم الحديث ، رواية ودراية وعلم الرجال وانساب العرب، ومكثت في المدينة المنورة قريبا من ست سنين، ثم انتقلنا إلى دمشق أثناء الحرب العالمية الأولى فكنت من أساتذة العربية في المدرسة السلطانية بها من سنتين في عهد حكومة الاستقلال العربي.

بعد انتهاء العرب العالمية الأولى رجعت إلى بلادي الجزائر وبقيت بها أنشر العلم في فترات متقطعة إلى سنة **1931** ميلادية، وكنت أحد اثنين يرجع لهما الفضل في تكوين **جمعية العلماء** أنا **وعبد الحميد**، وكنت في طليعة العاملين على إحياء العلوم الدينية والعربية بالجزائر من الإبتدائية إلى العالمية ، وكنت أبرز المشيدين الأربع مائة مدرسة في مدن القطر الجزائري وقراه، وفي طليعة المجاهدين في سبيل الإصلاح الديني وحرب التبجيل والابتداع في الدين وبث الوعي القومي، وتصحيح الموازين الفكرية والعقلية في نفوس أفراد الشعب الجزائري[1].

[1] المرجع السابق ص:271-288.

وبعد ظهور **جمعية العلماء** للوجود انغمست في أعماقها وتشكيلاتها وانقطعت إلى العلم وتأسيس مدارسه ووضع برامجه وكيلالها في حياة **ابن باديس** ورئيسا لها بعد موته، وفي سنة **1952** ميلادية رحلت إلى الشرق بتكليف من جمعيتي وكان الباعث على هذه الرحلة أمران:

***الأول:** السعي لدى الحكومات العربية لتقبل لنا بعثات من أبناء الجزائر.

***الثاني:** مخاطبة حكومات العرب والمسلمين في إعانتنا ماليا حتى تستطيع **الجمعية** أن تواصل أعمالها بقوة، لأن الميدان اتسع أمامها ، والشعب الجزائري محدود القوة المالية، فإذا لم يعنا إخواننا فربما تنتكس حركتنا وهذا ما ينتظره الاستعمار لنا.

-وقد قدمت مصر- ثم زرت باكستان- والعراق- وسوريا- والحجاز- فأما قبول البعثات فقد حصلت فيه على الغرض، وأما الإعانة فقد كانت طفيفة ، وقامت الثورة الجزائرية المباركة سنة **1954**، واستفحل أمرها فانقطعت عن الجزائر[1].

مؤلفاتـــه :

ومن مؤلفات **محمد البشير الإبراهيمي** ما يلي:

- **عيون البصائر:** وهي مجوعة من المقالات التي كتبتها بقلمي في جريدة البصائر في سلسلتها الثانية.
- **كتاب:** (بقايا العربية في اللهجة العامية بالجزائر) و(التزمت فيها اللهجة السائدة اليوم في مواطن بني هلال بن عامر)[2].

[1] المرجع السابق ص: 288-289.
[2] المرجع نفسه ص:289-291.

- **كتاب:** (النقايات والنفايات في لغة العرب) جمعت فيه كل ما جاء على وزن فعالة من مختار الشيء أو مرذوله.
- **كتاب:** (أسرار الضمائر في اللغة العربية).
- **كتاب :** (التسمية بالمصدر).
- **كتاب:** (الصفات التي جاءت على وزن فعل) بفتح العين.
- **كتاب:** (نظام العربية في موازن كلماتها).
- **كتاب:** (الإطراد والشذوذ في العربية).

(رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك).

- **كتاب:** (ما أخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة).

(رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا إثنان) .

رواية (كاهنة أوراس) بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال.

(رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية الفصيحة والعامية).

- **كتاب:** (حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام) بدأت فيه من أيام إقامتي في دمشق بعد الحرب العالمية الأولى ، وأتممته بعد ذلك في فترات، وبحثنا فيه تنابيع المال، واستخرجت ينابيع أخرى غير منصوصة يلتجئ إليها جماعات المسلمين إذا حز بهم أمر، أو فاجأتهم حادثة.
- **كتاب:** (شعب الإيمان) جمعت فيه الأخلاق والفضائل الإسلامية[1].

وهناك محاضرات وأبحاث كتبها عني التلامذة في حين إلقائها ، وهناك فتاوي متناثرة، ولكن أعظم ما دونت ، ملحمة رجزية نظمتها في السنين التي كنت فيها مبعدا في

[1] المرجع السابق ص:289.

الصحراء الوهرانية، وهي تبلغ ستة وثلاثين ألف بيت من الرجز السلس اللزومي في كل بيت منه، وقد تضمنت فنونا من المواضيع : تاريخ الإسلام ووصف كثير من الفرق التي حدثت في عصرنا هذا، وللمجتمع الجزائري بجميع فرقه ونحله، ولا فانين في الهزل ، للمذاهب الاجتماعية والفكرية والسياسية المستجدة، ومحاورات أدبية رائعة بينهم وبين الشيطان، ووصف للاستعمار ومكائده ودسائسه وحيلة وتحذيراته للشعوب للقضاء على مقوماتها[1].

ثالثا :الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي:

أملاها علينا ولده مبارك جدري الضابط في جيش التحرير الوطني.

الاسم:.....العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات.

الميلاد:.....ولد بمدينة التبسة؟؟؟؟

حينما بلغ سن العاشرة من عمره توفي جده الذي كان يعلّم القرآن الكريم لأبناء القرية فبعثت به أمه إلى مدينة نفطة بالجنوب التونسي.

درس هناك عل مشائخها وخاصة على الشيخ ابن أحمد الذي كان عالما متطلعا في فقه اللغة- والفقه الإسلامي- في مدينة نفطة التونسية.

بعد أن أتم تعليمه هناك إلتحق بجامع الزيتونة بتونس العاصمة- ثم انتقل منه إلى الأزهر الشريف بالقاهرة سنة **1919** أو سنة **1920**[2].

في عام **1927** عاد إلى الجزائر وانضم إلى رجال الإصلاح الإسلامي قبل تكوين **جمعية العلماء.**

[1] المرجع السابق ص:289.

[2] تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931،1956)ورؤسائها الثلاثة ص:247-248.

ثم عين من طرف رجال مدينة تبسة لإعطاء دروس الوعظ والإرشاد في جامع مدينة تبسة – وقد شن حربا شعواء على الطرقيين وعلى المتاجرين بالدين الإسلامي– الذين يعينهم الإستعمار الفرنسي كأئمة و مفاتي لخدمة أغراضه الاستعمارية– لكن السلطات الفرنسية هناك حاربته وأخذت منه الجامع وعيّنت فيه أئمة تابعين لإدارة الاحتلال ، فقام الشيخ **العربي بن بلقاسم التبسي** بجمع التبرعات المالية من الشعب وأسس في عام 1934 مدرسة حرة لتعليم الأولاد والبنات مبادئ اللغة العربية والدين الإسلامي –كما أسس مسجد حرا بأموال الشعب وأصبح يؤم فيه المصلين نهارا ويعطي فيه دروسا ليلية للكبار في الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم– وشرح الحديث النبوي الشريف– لكن السلطات الإستعمارية لم تسكت عنه حيث حاربته واضطهدته ولكنه صبر واستمر في المقاومة رغم السجون التي دخلها عدة مرات وخاصة في عام **1945** بعد أحداث 8 ماي الرهيبة[1].

عين أمينا عاما **لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين** في مجلس إدارتها الجديد في عام **1935**[2].

عندما أنشئ معهد الشيخ **عبد الحميد بن باديس** في مدينة قسنطينة سنة **1947** عين مديرا له.

شغل منصب نائب رئيس **جمعية العلماء** من عام **1952** إلى عام **1956** حيث حلت **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين** نفسها وانضوت تحت جبهة التحرير الوطني **(1954–1962)** وجيش التحرير الوطني أثناء ثورة الجزائر المظفرة.

قام بدور هام في المطالبة بتوحيد الأحزاب الجزائرية قبل الثورة من أجل الدفاع عن القضية الوطنية الجزائرية.

---

[1] المرجع السابق ص:247-248.

[2] شرفي أحمد الرفاعي، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، الطبعة الأولى1981، دار البعث للطباعة والنشر الجزائر ص:11.

في عام **1954** عندما اندلعت الثورة بدور هام في الدعوة إلى الثورة وحث الشباب على الانضمام إليها وخاصة في المنطقة التي ينتمي إليها وهي مدينة تبسة وضواحيها وعروش النمامشة الأوراس.

في عام **1956** تولى إمامة المسجد الذي يحمل اسمه الآن في حي بلكور بالعاصمة الجزائرية.

وكان يعطي فيه دروس الوعظ والإرشاد وكان يحث الجزائريين على توحيد الكلمة ومواصلة الجهاد وإعلاء كلمة الحق.

في عام **1957** اختطفه جنود المظلات الفرنسيون في عهد الوالي العام الفرنسي على الجزائريين ذاك (لاكوست lacost) ومنذ ذلك الحين ذلك العين لم يعثر على أثر حيث اغتيل من طرف جنود المظلات الفرنسيين رحمه الله رحمة واسعة.

وكان الشيخ **العربي بن بلقاسم التبسي** يمتاز بقوة الشخصية وصلابتها ، والشجاعة في إبداء الرأي والدفاع عنه، والثبات عليه مهما كانت الظروف هذا إلى جانب ثقافة واسعة في العلوم الإسلامية والأدب العربي[1].

[1] تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورؤساؤها الثلاثة ص:248-249.

استشهاد الشيخ العربي بن بلقاسم التبسي ومقتطفات من كتاباته وخطبه :

اغتيل الشهيد **العربي بن بلقاسم التبسي** ليلة الرابع من شهر أبريل سنة **1957**ميلادية [1]بعدما اختطف من منزله في العاصمة بتاريخ 17 أبريل على يد جنود المظلات.

وخطب عند افتتاح معهد الشيخ **عبد الحميد بن باديس** سنة **1947** أمام أساتذة المعهد بحضور الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي** رئيس **جمعية العلماء المسلمين** ، قال:

"أيها الإخوان –إن التعليم بوطنكم هذا– وفي أمتكم هذه –ميدان تضحية وجهاد– لا مسرح راحة ونعيم– فلنكن جنود العلم في هذه السنة الأولى ولنكن في المعهد كأبنائنا الطلبة– ولنعش عيشهم– عيش الاغتراب عن الأهل– فانسوا الأهل والعشيرة، ولا تزورهم إلا لما ما ثم قال أنا أضيفكم ذراعا بالعيال للبعد، وعدم وجود الكافي– من الرزق– ومع ذلك فها أنا فاعل فافعلوه وها أنا بادئ فاتبعوا".

وقد جاء في خطاب آخر أمام رجال إدارة **جمعية العلماء** سنة **1952** قوله[2]:

(إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن– وإرضاء الزوجة والأبناء في وقت واحد– إنه لا يمكن للإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية).

وقال من تقرير له في كيفية والإرشاد المنشور في سجل مؤتمر **جمعية العلماء** الثالث سنة 1935 الطبعة الإسلامية الجزائرية قسنطينة بدون تاريخ تحت عنوان: (لماذا ينكرون علينا إرشاد أمتنا وتعليم أبنائنا لغتهم ودينهم)، قال: أيها الإخوة إن من ينكر علينا إرشاد أمتنا– وتعليم أبنائنا– لغتهم– ودينهم– وعوائدهم– الإسلامية– فقد أراد بهذا المنع في نفس الأمر ومنطق أن نترك ديننا يضيع– وأمتنا جاهلة وأخلاقنا فاسدة– وتحويلنا من تاريخنا

[1] أحمد بن ذياب، مقا لة علمية ، مجلة الأصالة التي تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية في الجزائر عدد 8 لشهر مايو وجوان1972 ص:266-268.

[2]تركي رابح عمامرة ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة ص:251-254-255.

القديم إلى شيء آخر يضمره هو يفسح عنه إنكاره علينا ومنعه لنا – وإننا لا يمكن أن نترك ديننا– وعلومه– مادام دم الإسلام يجري في عروقنا– والله يشهد أن من يعترض على علماء الإسلام قيامهم بوظيفة الوعظ والإرشاد في هذا الوطن إلا وهو الظالم ظلما لم تعرفه الإنسانية من قبل[1].

رابعا : الشيخ الطيب العقبي :

وقد كان من أبرز رجالات **جمعية العلماء لمسلمين الجزائريين**، وهو كاتب وصحافي قدير وصاحب جريدة " **الإصلاح**" الأسبوعية وقد كان شخصية علمية– كما كان خطيبا مقنعا يستطيع أن يحرك أوتار قلوب الجماهير– وعواطفهم بقوة – وفصاحة لسانه– ويرجعهم إلى حيث يريد ، وقد تولى رئاسة تحرير جريدة **البصائر** لسان حال المسلمين الجزائريين عند إصدارها في عام **1935** فترة من الوقت.

وكانت دائرة عمله هي العاصمة ومنطقتها– أما مركز عمله فهو نادي **(الترقي)**، وقد اختلف مع أعضاء **جمعية العلماء** قبل نشوب الحرب العالمية الثانية عام **1939** في السياسة التي ينبغي أن تتبعها **الجمعية** إذا نشبت الحرب حيث رأى ضرورة تأييد فرنسا في الحرب[2] فلم يوافقه أعضاء **الجمعية** على هذا الرأي فقدم استقالته منها فأجبت إلى طلبه–ومن ذلك الحين استقل بالعمل وحده– بعيدا عن **جمعية العلماء** التي كان احد مؤسسيها.

[1] المرجع السابق ص: 255.
[2] المرجع نفسه ص:141-142.

خامسا :الشيخ مبارك بن محمد الميلي:

وهو العالم والأديب- والمؤرخ الكبير- تولى رئاسة تحرير جريدة البصائر "لسان حال **جمعية العلماء**" قبل الحرب العالمية الثانية وكان أحد أركان **جمعية العلماء** كما تولى الأمانة العامة لماليتها- فترة طويلة من الزمن-

وقد شارك الشيخ **مبارك بن محمد الميلي** في بناء النهضة الإصلاحية والعلمية- في الجزائر- عن طريق التعليم- والتأليف- والصحافة- وتكوين المدارس العربية الحرة-[1]

[1] المرجع السابق ص:143.

مجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لقد كانت **جمعية العلماء** تعمل في ثلاثة ميادين متنوعة ولكنها متكاملة في نفس الوقت. وهي الميادين العلمية- والدينية_ والثقافية.

ففي الميدان العلمي : مثلا: كانت تدعو إلى العلم وترغب فيه وتعمل على نشره في النفوس عن طريق المدارس التي أنشأتها- والمساجد التي كونتها -والنوادي التي أسستها - في طول البلاد وعرضها-

وفي الميدان الديني : كانت تعلم الدين واللغة العربية لأنهما شيئان متلازمان، وتدعو إليهما، وترغب فيهما ، وتعمل على تطهير الدين مما علق به من خرافات - وبدع -والعودة به إلى نقاوته الأولى- وإلى سماحته في العقائد- والعبادات- لأن هذا العمل يدخل في باب الإصلاح والسلفية الذي كانت تبشر به **جمعية العلماء** باعتبارها صاحبة دعوة إصلاحية سلفية.

وفي الميدان التهذيبي: كانت **(جمعية العلماء)** تعمل على غرس مكارم الأخلاق التي حث عليها الدين والعقل في نفوس المتعلمين وفي نفوس المترددين على مساجدها ونواديها بالليل والنهار.

وكانت تعمل في دروسها العامة- والخاصة- معا على محاربة الرذائل- والأخلاق الفاسدة -كالزنا والخمر- والقمار- وإهمال العمل والبطالة- غيرها من الرذائل الدينية والإجتماعية- التي تتنافى مع الدين الصحيح والعرف الأخلاقي العام. وبالعمل في هذه الميادين الثلاثة كانت **جمعية العلماء** في الواقع تهدف إلى ترقية الجزائريين فكريا- واجتماعيا- وأخلاقيا- والإرتفاع بمستواهما الاجتماعي والديني حتى يصبحوا أمة عزيزة الجانب يحترمها الأصدقاء ويخشى بأسها الأعداء[1].

[1] المرجع السابق ص:105-106.

وإذا بحثنا عن أهم الميادين والمجالات التي عمل فيها **عبد الحميد ابن باديس** وأثر فيها تأثيرا كبيرا، فإننا نجده قد عمل بصفة أساسية على إصلاح عدة أمور جوهرية لنهضة الشعب الجزائري هي كما يلي:

في مجال العقيدة و الإيمان:

دعا الإمام بإلحاح في مناسبات مختلفة إلى الإيمان الصحيح، و نبذ التقليد الأعمى، و أهاب بالعقل أن يستيقظ و يستنير بالعلم و المعرفة، و دلائل الحوادث لأنه لم يخلق لينقاد كما تنقاد البهيمة، و حارب رواسب عصور الإنحطاط التي تعيش في ذهن الشعب الجزائري، و قد قال في مقال عن الإسلام الذاتي و الإسلام الوراثي:

"أما الإسلام الذاتي فهو إسلام من يفهم قواعد الإسلام، و يدرك محاسن الإسلام في عقائده، و أخلاقه، و آدابه، وأحكامه، و أعماله، و يتفقه –حسب طاقته– في الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية، و يبني ذلك كله على الفكر، والنظر، فيفرق بين ما هو من الإسلام بحسنه و برهانه، و ما ليس منه بقبحه وبطلانه، فحياته حياة إيمان و عمل، و محبته للإسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل و البرهان كما يقتضي الشعور و الوجدان".

و رأى ما شاع من بعض الناس من تأليه شيوخهم، و إعتقادهم الكمال المطلق فيهم، الذي لا يكون إلا لله وحده، فكانوا يحلفون بهم، و ينسبون من الخوارق ما لا يتصور وقوعه إلا من الله تعالى فحذر من ذلك و قال بالخصوص: " ما أكثر ما تسمع في دعاء الناس، :(يا رب و الشيخ)،(يا رب و ناس ربي)[1]،

(يا رب و الناس الملاح)، و هذا من دعاء غير الله مع الله، فإياك أيها المسلم وإياه، وادع الله ربّك و خالقك وحده، وحده، وحده، وانف الشرك راغم".

[1] محمد الصالح الصديق، المصلح المجدد الإمام ابن باديس ص:68.

و رأى كثيرا من الناس طغى عليهم الجهل، فأشركوا مع الله كثيرا من خلقه، فمنهم من يقدم النذور للأولياء و يعتقد أنهم قادرون على النفع و الضر، و منهم من يعتقد في الحجر أو الشجر، فيخضع أمامها و يتذلل، و يطلب منها جلب الخير أو دفع الضر، و منهم من يعتقد في مرابط، أو طالب، أو دجال، و كل هذا في حقيقته إشراك بالله تعالى، و دليل على ضعف العقل، و سطحية التفكير، و تفاهة الشخصية – رأى ذلك فحذر منه و بيّن أن (العبادة بجميع أنواعها لا تكون إلا له، فذل القلب و خضوعه، و الشعور بالضعف، و الإفتقار، و الطاعة، و الإنقياد، و التضرع، والسؤال، هذه كلها لا تكون إلا لله، فمن خضع قلبه لمخلوق على أنه يملك ضره أو نفعه، فقد عبده، و من شعر بضعفه و افتقاره أمام مخلوق على أنه يملك إعطاءه أو منعه فقد عبده، و من ألقى قياده بيد مخلوق يتبعه فيما يأمره و ينهاه، غير ملفت إلى أنه من عنده أو من عند الله فقد عبده، و من توجه لمخلوق فدعاه ليكشف عنه السوء أو يدفع عنه الضر فقد عبده".

نعى الإمام على بعض الناس جهالتهم و قصور عقولهم، في فهمهم للفرار إلى الله، من قوله تعالى:﴿ **فَفِرُّوا إِلَى اللهِ**﴾[1]، حيث فهموا–خطأ– أنه الفرار من الدنيا و ترك السعي و العمل فيها، و الإخلاد إلى الأرض، و انتظار الرزق المقسوم أن يأتيهم إلى بيوتهم، فقال:"ليس المقصود الفرار من الدنيا، و ترك السعي و العمل، و تعاطي الأسباب المشروعة لتحصيل القوت و رغد العيش[2]، و توسيع العمران وتشييد المدنية، بل المقصود الفرار من شرورها و فتنها، و تناول ذلك كله على الوجه المشروع، هو من الفرار، و الدخول تحت شرعه.. و قد ضل قوم، فزعموا ذلك طاعة و عبادة، فعطلوا الأسباب، و خالفوا الشريعة، و حادوا عما ثبت من السنة، وفيهم سئل إمام الحديث و السنة **أحمد بن حنبل**–رحمه الله– سئل عن القائل: اجلس لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي، فقال:" هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبي صلى الله عليه و سلم: إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي)، و قوله:(تغدو

[1] الذاريات:50.
[2] المرجع السابق ص:69-68-70.

خماصا و تروح بطانا)، و كان الصحابة يتجرون في البر و البحر و يعملون في نخيلهم وبهم القدوة".

و يرى الإمام أن الإيمان فطري في الإنسان، و إنما يضعف بالشهوات البدنية، و ما يواجه الإنسان في حياته من أوضاع و أحوال و عوارض، فإذا وجد من يعود به إلى فطرته عاد بسهولة:

"الإنسان مفطور على كمالات في خلقته الأولى، لو سلمت له مما يعارضها، ووجدت ما ينميها و يقويها مما يناسبها، لعاش في هذه الدنيا إنسانا كاملا، و لكن الشهوات البدنية، و الأهواء النفسية التي يحملها الأفراد، و يقويها الإجتماع، وتتضاعف بتوارث الأجيال عن الأجيال، في الأحقاب بعد الأحقاب، هي التي تفسد عليه فطرته الأولى، و تسمه بميسم الشر، و ترديه في دركات الإنحطاط، لكن مهما كثفت سحب الجهالات و الضلالات، فإن نبراس الفطرة الأولى لا يضمحل، و إن كان قد يضؤل و يقل.. فإذا جاء من يدعو الإنسان إلى سعادته على طريق فطرته، فإنه مخضعه ولا محالة، و مستول عليه بسهولة في زمان قصير".[1]

في مجال الإسلام:

نعى الإمام على المسلمين تزييفهم للتعاليم الإسلامية السمحة، و عاب على العلماء إسرافهم في ملاحظة أدق تفاصيل العبادات[2]، و افتراضاتهم الوهمية التي يضيع العمر في تحديدها و تحليلها و مناقشتها حتى أدى ذلك إلى النفور أحيانا و استثارة السخرية من أعداء الإسلام أحيانا أخرى، و كيف لا يسخر الأجانب من أوهام بعض الفقهاء التي تدعو إلى الضحك و البكاء في آن واحد، و من افتراضاتهم العجيبة السخيفة التي تتجاوز حد العقل و المنطق، فقد ورد في بعض الكتب أن فقيها تجاوز في الفرض حد المعقول فافترض أن

[1] المرجع السابق ص:70-71.
[2] المرجع نفسه ص:71.

إماما من أئمة المساجد تولد من إنسان و نعجة، ثم صلى بالناس صلاة عيد النحر، و بحث و أطال البحث: هل يجوز أن يضحى به بعد الصلاة أو لا يجوز؟ و أن رجلا من المصلين صلى و على ظهره قربة مملوءة بغاز البطن، و بحث و عمّق البحث، هل تصح صلاته أو لا تصح؟ ....إلخ، أمثال هذه الترهات التي لا تدل إلا على البلادة و البلاهة و التفاهة، فحاربها **ابن باديس**، و بيّن أن الإسلام بريء من كل هذا و أنه دين العقل والمنطق، و دين واضح لا غموض فيه و لا التواء، و أن الإسلام الصحيح هو الذي تفجرت به ينابيعه الأصيلة الصافية: الكتاب و السنة النبوية و سيرة الخلفاء الراشدين، وعلماء الصحابة و التابعين ، و الإسلام بهذا المفهوم دين الفطرة و الحضارة، و في هذا يقول: "إن الأمة الإسلامية لم تتأخر عن ركب الأمم الراقية إلا بابتعادها عن تعاليم الإسلام و لا سبيل إلا بإعادتها إلى الإسلام الصحيح".

إن الإسلام في حقيقته وواقعه واضح المعالم، بيّن المقاصد، فطريّ يواكب الحياة في كل مكان و زمان، و هذا ما جعله ينتشر انتشارا سريعا بين يوم و آخر، يقول الإمام:

"كل من عرف الإسلام يعلم أنه هداية روحية، و نظام إجتماعي، و أنه شريعة عبادة شرعت لتحرير العقول و ترقيتها، و تهذيب النفوس و تكميلها[1]، و تقوية الأبدان و تنشيطها، و حكم أسس على العدل و الإحسان في السياسة و الإدارة والقضاء ... بهذا انتشر بسرعة غريبة، في مدة قليلة في أقطار الأرض، و انتشر كذلك كتابه (القرآن) و (لغة) كتابه العربية هذا الإنتشار الغريب الواسع السريع الذي لم يعرفه التاريخ قبله و لا بعده لدين و لا للغة و لا كتاب".

يرد بهذا على المتفيقهين المبتدعين،المنتسبين إلى الإسلام خطأ الذين يعقّدونه باعتقاداتهم الباطلة، و أوهامهم و سخافاتهم.

[1] المرجع السابق ص:71-72.

و لاحظ ما عليه المتنطعون من كلفهم بابتداعات في الدين لا تدل إلا على نقص في العقل، و ضعف في الإيمان، و انحراف عن الجادة، فبيّن خطورة ذلك، وسوء صنعه و قال:

"من أبين المخالفة عن أمره-تعالى- و أقبحها الزيادة في العبادة التي تعبد الله بها على ما مضى من سنته فيها، و إحداث محدثات على وجه العبادة في مواطن مرت عليه و لم يتعبد بمثل ذلك المحدث فيها، و كلا هاذين زيادة و إحداث و ابتداع مذموم، يكون مرتكبه كمن يرى أنه اهتدى إلى طاعة لم يهتد إليها رسول الله صلى الله عليه و سلم، و سبق إلى فضيلة قصر رسول الله صلى الله عليه و سلم عنها وكفى بهذا وحده فتنة و بلاء، دع ما يجر إليه من بلايا أخرى".

و رأى بعض خطباء المساجد-إن لم نقل معظمهم- ينومون المصلين بخطبهم الغبية فحذرهم و ندّد بعلمهم هذا و قال:

"أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدة مسجعة، طويلة من مخلفات الماضي لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين، تلقى بترنم و تلحين، أو غمغمة و تمطيط، ثم كثيرا ما تختم بالأحاديث المنكرات أو الموضوعات[1]، هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية سد بها أهلها بابا عظيما من الخير فتحه الإسلام و عطلوا بها الوعظ. الإرشاد، و هو ركن عظيم من أركان الإسلام، فحذار أيها المؤمن من أن تكون مثلهم إذا وقفت خطيبا في الناس، و حذار أن تترك طريقة القرآن و المواعظ النبوية، إلى ما أحدثه المحدثون، و رحم الله **أبا الحسن** -كرم الله وجهه- فقد قال: الفقيه كل الفقيه، كل الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، و لم يؤمنهم من مكره و لم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه".

[1] المرجع السابق ص:72-73.

و بهذه الروح، و في هذا الضوء، ظل الإمام **عبد الحميد** يوقظ الشعور الإسلامي، و يدعو إلى الإتحاد، و تكوين أمة قوية في روحها و تربيتها و تفكيرها و إسلامها، و يربط الجزائر بالعمل الإسلامي الخارجي على أساس التذكير بتعاليم الإسلام السمحة، و مقاصده السامية[1].

في مجال الثقافة و التعليم:

صاح الإمام **عبد الحميد** في قومه أن الأمة الجزائرية لم تزل حية و ستبقى حية بالرغم من استعمارها، و بالرغم مما تكال عليها من عوامل المسخ و النسخ و التشويه، ستبقى حية ما دامت تحافظ على لغتها العربية، و دينها الإسلامي الحنيف، و تبذل الجهد في تعلمها فمن أجل ذلك أنشأ المدارس و النوادي، و المنظمات الثقافية، و ظل طول حياته يحاضر ينشر البحوث و المقالات، و يلقي الدروس في مختلف العلوم الدينية، و اللسانية، و العقلية، و كان يفخر بأنه معلم و يرى مهنة التعليم أشرف المهن و أحقها بالتقدير و الإحترام و كان يقول لطلبته: "عدّوني دائما من المعلمين، فوجودي في الأندية الأدبية، والسياسية، و الإجتماعات الشعبية[2]، ومجالات الدعوة الإصلاحية و الصحافية و غيرها، لا يسلبني صفة المعلم و لا يعوقني عن حب مهنة التربية و التعليم" .

و كان يحرص جد الحرص على تربية إسلامية، و إعدادهم إعدادا صالحا لخدمة الإسلام و اللغة العربية، و ذكر لي أحد طلبته و هو المرحوم الشيخ **علي مرحوم** أنه في بداية السنة الدراسية يجمع تلامذته، و يزودهم بنصائحه الغالية، وإرشاداته الحكيمة فيما يختص بأخلاقهم و سلوكهم، و محافظتهم على الجد والإجتهاد في الدراسة، و بعدهم عن مواطن السوء و الشبهات، التي تعوقهم عن الدراسة المفيدة، و تمس بكرامتهم و شرفهم باعتبارهم طلاب علم، و كان يأخذ تلاميذته بالتوجه الجدي، و التربية الروحية الحازمة،

[1] المرجع السابق ص:73-74.
[2] المرجع نفسه ص:74.

و يكون هو القدوة و المثل الأعلى لهم في ذلك، و كان يحضر –قبل صلاة الفجر– من منزله إلى مسجد **(سيدي قموش)** ليتأكد بنفسه من أن التلاميذ قد استيقظوا من النوم لأداء الصلاة والشروع في الدروس بالرغم من أنه لا يخرج– أحيانا– من مقصورته في الجامع الأخضر إلا بعد العاشرة ليلا، و لهذه التربية الأخلاقية الحازمة كان كل الذين درسوا عليه و تخرجوا من مدرسته، قد طبعوا بطابع الجد و الحزم و الأخلاق، و كانوا في مدارسهم و مساجدهم و أنديتهم –بعد تخرجهم– كإمامهم جدية و حزما و سلوكا..

"و قد ظهر في ميدان الفكر و الثقافة من تلامذة الشيخ علماء و كتاب وشعراء، من بينهم مؤرخ الجزائر الشيخ **المبارك الميلي** و الشاعر **محمد السعيد الزاهري** و الشاعر الملهم **الهادي السنوسي**، و الأديب الكاتب **محمد بن العابد الجيلالي**، و الخطيب المفوه **الفضيل الورتلاني**، و غيرهم لا يحصرون عددا[1].

أدرك الإمام بثاقب فكره أعباء المسؤولية التي ستناط بعهدة تلاميذته فأهلهم لذلك فكريا و أخلاقيا و روحيا، فكانوا خير خلف له، و خير جنود جهزوا لتهيئة الجزائر لثورتها التحريرية نفسيا و فكريا و روحيا.

و في الطلبة الجزائريين الذين تأثروا بفكره و إن لم يروه، و اتجهوا اتجاهه وإن لم يأخذوا عنه، نظم الشاعر التونسي المرحوم **مصطفى خريف** قصيدا بليغا بمناسبة إقامتهم لذكرى **ابن باديس** بتونس سنة **1949** جاء فيه بالخصوص:

عبد الحميد إليك في الخُلــد التَّهاني و البشائـــــــــــــــــــرْ

من فيض روحك قد ترا ءَتْ بيننا هذه البـــــــــــــــــــوارْ

هذا الذي بَذَرَتْ يدا كَ بَدَت أطايُبه البواكِـــــــــــــــــــرْ

[1] المرجع السابق ص:74-75.

هذا وفاءُ النشء قد عقدُوا على العهد الخناصـــــــــــــــرْ

إني لأبصر فيهم جيلاً قويَّ الأسْر قـــــــــــــــــارْ

(باركْ له) هذه المَنا قب و المحامد و المفاخـــــــــــــــرْ

و لهذا كان الإمام يعتز بالتعليم و يعتز بطلبته، و يعتبر حلقات دروسه أقوى وسيلة لجمع طلبة الجزائر من مختلف الأنحاء، و قد قال يوما لطلبته:

"إن وطننا الجزائر واسع الأطراف، متعدد المناطق، و البيئات، حتى كاد يستقل بعضها عن بعض، فوجب علينا أن نربط بين حاضرته و باديته، بما لدينا من وسائل الإتصال حتى نقرب بينها تقريبا يجعل المواطنين يتعارفون و يتعاونون كأبناء وطن واحد[1]، و أن من جملة الوسائل التي تساعد على تحقيق هذا الهدف في مطلع نهضتنا العلمية هذه الحلقات التي استطاعت بفضل الله أن تجمعكم من عدة جهات، لا فرق بين من قدموا إليها من الحواضر، و بين من قدموا من البوادي، وإني لأكون فرحا مبتهجا حينما التفت حولي فأجد أبناء الصحراء بجنب أبناء الجبال، و أبناء الحاضرة بجنب أبناء البادية، و الجميع قد جمعتهم هذه الحلقات العلمية في صعيد واحد لا فضل لأي منهم على الآخر إلا بالإجتهاد و العمل" .

و هكذا، فإذا كان هم الشيوخ المعلمين الآخرين من تعليم أبناء الوطن وهدفهم تحصيل العلم فقط، فغن هم **ابن باديس**، و هدفه مع ذلك أن يتعارف أبناء الجزائر الذين باعد بينهم الإستعمار الفرنسي، و في تعارفهم تآلف و انسجام، و في هذا وضوح التفكير، و المنهج، و العمل.

[1] المرجع السابق ص:75-76.

و فعلا جمع هؤلاء الطلبة بعد تخرجهم طريق واحد، و عمل واحد، و هدف واحد، كما جمعت بينهم تلك الحلقات العلمية، فكان ما كان منهم من بذور اليقظة، والنهضة، و انتشار الوعي الأدبي و الفكريّ و الإصلاحي في الجزائر.

و إزاء اهتمام الإمام بهذه الدروس يلاحظ اهتمامه أيضا بتأسيس المدارس والنوادي و بناء المساجد الحرة، هذا الثالوث الحيوي الذي تكاملت به جوانب النهضة الجزائرية و الإصلاحية، فالمدارس للناشئة تتلقى فيها دروس الدين و الأخلاق، وقواعد اللغة العربية و التاريخ الوطني،و الأندية للشباب، تجمع شتاته و تقيه شر الضياع، و تعيد له ثقته بنفسه و بدينه و قومه، بما يسمعه من المحاضرات في التربية و التوجيه الديني و القومي و الثقافة العربية الإسلامية، و المساجد لجمهور المصلين المتعطشين لسماع دروس دروس اليقظة و الحياة ... المستوحاة من روح الإسلام النقي من الخرافة و الجمود و التعصب[1]، و نذكر على سبيل المثال

أن مما تضمنه القانون الأساسي لجمعية التربية و التعليم الذي حرره الإمام **ابن باديس** بنفسه سنة **1349**هـ،**1930**م:

أولا: تربية أبناء المسلمين و بناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم، ولغتهم، و شخصيتهم.

ثانيا: و أن للجمعية أن تكون فروعا في البلدان التي ترغب أن تكون فرعا منها.. كما أنها تدعو المسلمين (الجزائريين) أن ينهضوا لذلك نهضة حقيقية، ويسعوا إلى السعي الجدي المتواصل، فإنهم لا بقاء لهم إلا بالإسلام، و لا بقاء للإسلام إلا بالتربية و التعليم.

كما دعا الإمام إلى تأسيس الفرق الكشفية، و الفنية، و الرياضية، والإجتماعية، و حتى الجمعيات التجارية و الإقتصادية، و كل هذه الجمعيات قد أنت أكلها بإذن ربها

[1] المرجع السابق ص:76-77.

و أعطت ثمراتها اليانعة في تاريخ الجزائر الحديث، و هذه المنشآت العلمية و الثقافية هي التي "أعدت المناخ الملائم، و هيأت التربة الصالحة لبذر بذور الثورة الفكرية، و بث روح الجهاد الإسلامي في نفوس الأجيال الناشئة، و العمل على ربط هذه الأجيال بقوميتها العربية الإسلامية الوطنية"، حتى كانت ثورة التحريرالتي اندلعت يوم فاتح نوفمبر **1954**م.

و الجدير بالملاحظة أن **ابن باديس** قد جعل الغاية و الهدف من كفاحه المتنوع الوصول بالجزائر إلى الحرية و الإستقلال، و قد حدثني الأستاذ **علي مرحوم** عليه رحمة الله أنه سمع في مجلس خاص بعد أن قال للشيخ **ابن باديس** أحد الحاضرين: إن فلانا... يدعو إلى لزوم المطالبة بالإستقلال التام قبل كل شيء" فقال له الشيخ:" يا سبحان الله، و ماذا نريد نحن من وراء أعمالنا؟[1]

و هل لمن يضع الأساس و يقيم جدران البيت إلا أن يتم بناء بيته بوضع السقف فوق الجدران، أما وضع السقف قبل أن تقام الجدران فليس مما يسلم به أو يقبله عقلاء الناس"[2].

في مجال الأخلاق:

جاهد الإمام في سبيل إحياء القيم الأخلاقية المرتبطة بتقوى الله تعالى، و نفع الإنسانية، فما من خلق قويم يحفظ الإنسان من الإنحراف عن الجادة، و يعصمه من التميّع و الإنحلال، إلا دعا إليه في دروسه، أو مقالاته، أو محاضراته، أو مجالسه، و نورد-على سبيل المثال- صورا لذلك فيها الكفاية للبصير اللبيب:

_دعا الإمام إلى ترك العجب، لأنه شرط في حسن و كمال الخلق فقال: " تربية النفوس تكون بالتخلية من الرذائل، و التحلية بالفضائل، و العجب هو أساس الرذائل، فأول الترك تركه، و هو المانع من اكتساب الفضائل، فشرط وجودها تركه كذلك، و من لم يكن معجبا بنفسه كان بمدرجة التخلق بمحاسن الأخلاق، و التنزه عن نقائصها، لأن الإنسان مجبول

[1] المرجع السابق ص:77-78.
[2] المرجع نفسه ص:78.

على محبة الكمال و كراهة النقص، فإذا سلم من العجب فإن تلك الجبلة تدعوه إلى ذلك التخلق و التنزه، فإذا نبه على نقصه لم تأخذه العزة، و إذا رغب في كمال كانت له و إليه هزة، فلا يزال بين التذكيرات الإلهية و الجبلة الإنسانية الخلقية يتهذب و يتشذب حتى يبلغ ما قدر له من كمال".

_المحافظة على العقل و الخلق و البدن تحفظ حياة الإنسان، و تضمن لها السير المتزن و دوام النفع و الفائدة، و من هنا وجب التقيد بقانون حفظ الصحة العقلية و البدنية و الخلقية[1]. و في هذا المعنى يقول الإمام:"حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها على هذه الأركان الثلاثة: الإرادة، و الفكر،و العمل ...لأن التذكر بالتفكر، و الشكر بالعمل، فاستفادة الإنسان مما خلقه الله له و جعله لأجله لا تكون إلا بهذه الثلاثة، و هذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد للإنسان منها، فالعمل متوقف على البدن، والفكر متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق، فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح، و الإرادة القوية من الخلق المتين، و العمل المفيد من البدن السليم، فلهذا كان الإنسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة: عقله، وخلقه، وبدنه، و دفع المضار عنها، فيثقف عقله بالعلم، و يقوّم أخلاقه بالسلوك النبويّ، ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء، و توقي الأذى بالتريض على العمل".

_عرف الإمام إنشغال الناس باللغو، في القول الباطل، و الفعل الباطل، و إنفاق الوقت الثمين فيهما، و العمر قصير مهما كان طويلا، فبدل أن ينفق في الصالح المفيد حالا أو مالا، يضيعه معظم الناس في الهراء، و التافه من القول، أو الباطل من الفعل، فقدم هذه الموعظة وقال:

" في الإقبال على اللغو شغل للبال به، و تكدير للخاطر بظلمته، و تضييع للوقت فيه، و لكل كلمة تسمعها أو فعلة تشهدها، أثر في حياتك و إن قلّ، و قد يعقبها ضدها فتزول بعدما شغلت و عطلت و قد يرد فيها مثلها، فتثبت و تنمو وتسوء عاقبتها و لو بعد حين،

[1] المرجع نفسه، ص:79.

و بقدر ما تلتفت إلى اللغو تلتفت عن كرمك، وبقدر ما يعلق بك منه ينقص من ذكائك، و بقدر ما تتساهل بالوقوف عليه تقرب من الدخول فيه ، و إذا دخلت فيه و استأنست بأهله، جرك إلى الزور و عظائم الأمور، و للشر أسباب متواصلة[1]، و أنساب متصلة، يؤدي بعضها إلى بعض، فينتقل المغرور الغافل من خفيها إلى جليها، و من صغيرها إلى كبيرها، فالحازم من لم يسامح نفسه في قليلها، و يباعد كل البعد عنها و عن أهلها".

_اعتاد الناس أن يجادلوا لتأييد رأي، أو تقرير فكرة، فيحتدم النقاش، فكان منهم من يشاغب بالشبه، و منهم من يستطيل بالباطل، و منهم من يدافع بالسفه و الكلام البذيء، فأرشد الإمام إلى الطريق السوي في الجدال، و بين تربية الإسلام فيه فقال:

"المدافعة و المغالبة من فطرة الإنسان، و لهذا (كان الإنسان أكثر شيء جدلا)، غير أن التربية الدينية هي التي تضبط خلقه، و تقوم فطرته، فتجعل جداله بالحق عن الحق، فلنحذر من أن يطغى علينا خلق المدافعة و المغالبة، فنذهب في الجدل شر مذاهبه، و نصير الخصومة لنا خلقا، و من صارت الخصومة له خلقا، أصبح يندفع معها في كل شيء، و لأدنى شيء لا يبالي بحق و لا باطل، و إنما يريد الغلب بأي وجه كان، و هذا هو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم:"إن أبغض الرجال إلى الله الألد –الشديد الخصومة– الخصم – الكثير الخصومات" و من ضبط نفسه، و راقب ربه، لا يجادل إذا جادل إلا عن الحق و بالتالي هي أحسن".

_أدرك الغربيون قيمة الوقت فعاملوه معاملة الصديق الحميم، و أنه هو الحياة فحافظوا عليه محافظتهم على حياتهم، فاستغلوه و استثمروه و صنعوا به حياتهم وحضراتهم، و تبوأوا بذلك مكانة الصدارة في العالم، أما نحن فإننا نجهل قيمته، ونعده عدوا و لذا نقتله، و الإمام **ابن باديس** يرسل إحدى صيحاته عن أهمية الوقت فيقول:

[1] المرجع السابق ص:79-80-81.

"كل شيء في هذه الدنيا يمكن إلا الوقت، فإن لحظة منه إذا فاتت لا تخلف بأموال الدنيا، و لحظاته المتتابعة إذا حوفظ عليها و ملئت بالأعمال أفضت-طال الزمن أو قصر- إلى الأموال و الآمال، فالوقت لنا كنز لا يماثله كنز[1]، و ثروة لا تقدر بثروة، و هو -إلى هذا-لذة و بركة للذين يقطعونه بأنواع الأعمال، و عناء وألم على الذين يقطعونه بالبطالة، و يحاولون قتله بطرائق اللهو و الباطل، فيعيشون في ملل و ضجر و ضيق لا توسعه أكداس الذهب و الفضة".

بالإضافة إلى أن الإمام **ابن باديس** كان مدرسة أخلاقية بما طبع عليه من تواضع، و نبل و همة، و ترفع، و شهامة، ووطنية صادقة، و محافظة على الوقت، فتخرج من هذه المدرسة جيل كبير كان له أثره البعيد في سلوك الشعب الجزائري، وفي إنتصاره على نفسه ثم على عدوه .

في مجال القرآن الكريم:

تحدث الإمام عن القرآن حديث عالم به، متفاعل معه، مدرك لحقائقه وأسراره، متذوق لحلاوته و لذته، موقن أنه يهدي للتي هي أقوم، فقال:

"..القرآن هو كتاب محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يتخلق به، و يهتدي بما فيه و ينذر به و يدعوا إليه، و يبينه للناس بقوله و فعله و هو برهانه و حجته وآياته و معجزته كما أنه كتاب الإسلام، الذي هو الصراط المستقيم، فيه حجته ودلائله، فيه أحكامه و حكمه فيه آدابه و شمائله فيه بيان حقيقته، و ما هو منه نفي وما ليس منه عنه فيه بيان تاريخه و تاريخ الإنسانية معه فيه ذكر أوليائه و حسن بلائهم في سبيله و حسن أثره فيهم، و العود بالعاقبة المحمودة عليهم و ذكر أعدائه و جهدهم في مقاومته و سقوط شبههم أمام محبته و ذهاب باطلهم أمام حقه و شدة أخذه لهم على ظلمهم و نزول نقمته بهم[2]، و حلول دائرة

[1] المرجع السابق ص:81-82.
[2] المرجع السابق ص:82.

السوء عليهم فيه الإسلام كله فمن طلبه فيه وجده، و نجا به و من طلبه في غيره ضل و كان من الهالكين"[1].

و رأى هجران المسلمين لهذا الكتاب العظيم الذي فيه رقيهم و تقدمهم و فيه هدايتهم و سعادتهم ، هجروا ما فيه من عقائد الإيمان و أصول الأحكام و أمهات مسائل الحلال و الحرام و مكارم الأخلاق و قواعد التربية و السلوك و سنن الإجتماع و قوانين الرقي و الفلاح هجروا كل ذلك و أكثر من ذلك إلى كتب وضعوها من عند أنفسهم فصاح فيهم هذه الصيحة:" لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن في و العذاب المنوع الذي نذوقه و نقاسيه إلا بالرجوع إلى القرآن إلى علمه وهديه و بناء العقائد و الأحكام و الآداب عليه و التفقه فيه، و في السنة النبوية شرحه بيانه و الإستعانة على ذلك بإخلاص القصد و صحة الفهم و الإعتقاد بأنظار العلماء الراسخين و الإهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين، و هذا أمر قريب على من قربه الله عليه، ميسر على من توكل على الله فيه".

و ما اشتغال الإمام بتفسير القرآن مدة خمس و عشرين سنة بمنهاجه الإسلامي المتميز، الذي ظهر على يد المصلح المجدد الإمام **محمد عبده**، إلا عمل جاد في سبيل العودة بالمسلمين إلى كتاب ربهم الذي هجروه، و إنارة الطريق لهم إلى مناهله الصافية و أدويته الشافية و شعله الهادية و عرفت الأمة الجزائرية عظمة هذا العمل و مكانة هذا الإمام الذي أعادها إلى كتاب ربها فاحتفلت بختمه ، و بخاتمه فكان ذلك اليوم من أيام الله الغر التي ستظل وساما على صدر هذه الأمة، و حسبنا فيه ما قاله الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي:**

"هذا هو اليوم الذي تعلن فيه الأمة إنابتها إلى ربها، و تكفيرها عن ذنبها ، ورجوعها إلى الله رجوع عبد أوبقته جرائره، و افتضحت سرائره، و انقطعت أواصره وعز مغيثه و ناصره ، و ظن أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فرجع على الطريق التي منها هرب، فإن

[1] المرجع السابق، ص:82-83.

هروب هذه الأمة من الله هو تلفتها من كتابه [1]، و بعدها من هدايته و التماسها الوصول إليه من غير طريقه فضلت و تاهت قرونا و ها هي ذي تفيء إلى الله على طريق كتابه و سنة أصحابه و عسى هادي الحائرين أن يعود عليها بعوائد بره و إحسانه"[2].

في مجال التربية و التكوين:

لم يفتإ **ابن باديس** يدعو إلى العناية بالبيئة المنزلية، و إقامتها على أساس قوي ثابت من الدين و الأخلاق ، و يؤكد أن الضعف الذي يوجد في الرجال معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت ، بسبب جهل الأمهات و قلة تدينهن من وأقواله الحكيمة في الموضوع قوله:

"إذا أردنا أن نكوّن رجالا فعلينا أن نكوّن أمهات دينيات ، و لا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا ، و تربيتهن تربية إسلامية ، و إذا تركناهن على ما هنّ عليه من الجهل بالدين فمحال أن نرجو منّهن أن يكونّ لنا عظماء الرجال".

تحدث في محاضرة له عن الرجل المسلم ، الذي يعتمد عليه في بناء الحياة وصنع التاريخ ثم قال:" إن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف، و شريكته في البيت و الحياة، هما زوجان متلازمان ، لا تكمل الوحدة البشرية إلا بكمالهما، و ما الوحدة البشرية في ضرورية الزوجين لتكوينهما إلا كسائر المخلوقات الساري عليهما قانون الزوجية العام".

و بعد أن وضّح هذا القانون، و ذكر ما بين الرجل و المرأة من التشارك والتلازم و الإتصال، و ذكر المرأة المسلمة الجزائرية، و قال :"إنها خلقت لحفظ النسل و تربية الإنسان[3]، في أضعف أطواره (و حمله و فصاله ثلاثون شهرا) فهي ربة البيت و راعيته..

[1] المرجع السابق ص:84.
[2] المرجع نفسه ص:84.
[3] المرجع نفسه ص:85.

فعلينا أن نعلمها كلّ ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها، و أنها المسلمة (لهن مثل الذي عليهن بالمعروف)، فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة ، ونعرفها من طريق الدين ما لها و ما عليها و أنها الجزائرية بدينها و لغتها وقوميتها، فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا و لنا يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية و لا ينكرون أصلهم و إن أنكرهم العالم بأسره و لا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون.

-ذكر الطريق الموصل إلى هذه المقاصد و الأهداف، و قال: إنه التعليم: تعليم البنات تعليما يناسب خلقتهن ، و دينهن، و قوميتهن، فالجاهلة التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا-عليهن الرحمة- خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها ، تعليم كل واحد لأهله ، بما عنده من علم و ختم كلامه بقوله:

"و يوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة، و الطريق السابق في تعليم الرجل سلوكا جديا، نكون -بإذن الله تعالى- قد نهضنا بهما نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير و كمال".

و حدثني الشيخ **عبد الرحمان شيبان** رئيس **جمعية العلماء** حاليا أنه سمع الشيخ **عبد الحميد اين باديس** يقول في خطاب ألقاه ببجاية سنة **1938** بمناسبة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف:" إذا كان الطائر لا يطير إلا بجناحين فإن المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين: الرجل و المرأة"[1].

[1] المرجع السابق ص:85-86.

في مجال الوطنية و القومية:

و في ميدان الوطنية و الإعتزاز بالكرامة الشخصية ، وقف الإمام مواقف سجلها التاريخ بأحرف من نور، و ستظل تنتقل من جيل إلى جيل كما ينتقل النور والضياء.

و قد كتب في هذا الشأن أبحاثا و مقالات لا يتسع المجال حتى لعرض عناوينها، و له في ذلك أيضا مواقف مشرقة ، يزهو بها التاريخ و من كلماته النيّرة الخالدة:

"إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي، و مصالح الحاضر، و آمال المستقبل، و النسبة للوطن توجب علم تاريخه و القيام بواجباته من نهضة علمية و اقتصادية و عمرانية ، و المحافظة على شرف اسمه و سمعة بنيه ،فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، و لا سمعة لمن لا سمعة لقومه".

و كان يحرص جدّ الحرص على جمع الكلمة، و توحيد الصفّ و تقريب الميول ، و ضم الشتات حتى تكون الأمة قوية مهيبة ، و طاقة فاعلة بنّاءة ، و كان يرى أن لا شيء يرضي أعداء الجزائر كتفرق صفوفها و تشتتهم، و يرى أن العيب الذي ما بعده عيب، أن يتحد أعداؤنا و يتجمعوا، و يتكتّلوا لمحاربتنا ، في حين أننا نتفرق و نتشتت و له في هذا المعنى أقوال قيّمة .

و تأسف لتنكر بعض الجزائريين الذين تعلموا في غير أحضان الدين الإسلامي[1]، و الوطنية الصادقة، لتاريخ الجزائر، و مقوماتها، و رغبتهم في التخلي عن القومية الوطنية و الإندماج في قومية أجنبية ، و افتتانهم بالمغريات المادية، والظواهر البراقة الخادعة فأعلنها صيحة مدوية و صرخة مزلزلة:

"الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة... و لهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، و لها وحدتها الدينية ، و اللغوية، و لها ثقافتها الخاصة.. ثم إن هذه الأمة الجزائرية

[1] المرجع السابق ص:87-88.

الإسلامية، ليست هي فرنسا، و لا يمكن أن تكون فرنسا ، و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت"[1].

في مجال السياسة و محاربة الإستعمار:

سأل الإمام أحد المعلمين في حفل أقيم بمناسبة المولد النبوي ببجاية: أيها الأستاذ ، يقال أنك عدو لفرنسا ! أجابه الشيخ قائلا: كلا ، أحرار فرنسا لا يقولون هذا ، و لا يعتقدونه، أنا لست عدوا لفرد من الأفراد، و لا لحزب من الأحزاب ، و لا جنس من الأجناس، و لا لدولة من الدول، أنا مسلم ، فإسلامي يمنعني أن أكون عدوا لجنس من الأجناس.. و إنما أنا عدو الظلم و الإستبداد، و عدو الجهل والجمود من أيّ فرد و من أيّ جنس أقاوم الظالم و لو كان قريبا مسلما، و أنصر المظلوم و لو كان بعيدا غير مسلم".

الروح الإستعمارية أحقاد وأطماع ، جشع وتكالب، تهور وتوحّش، واستغلال واستعباد، وتسلط وهيمنة، أما المستعمرون فقطعان من الوحوش"يعيشون على دماء الشعوب كما يعيش القمل و البق و البعوض".

أما الروح الإنسانية : فمحبة و رحمة ، و سلام و أمن ، و حق و عدل، وبناء و تعمير، و الإنسانيون قوم يعيشون إخوة متحابين متعاونين[2]، فإذا كان مدار الوزن و التقويم عند المستعمرين هو مدى قدرة المستعمر على السيطرة و الهيمنة القهر و الخراب فإنه عند الإنسانيين هو مدى قدرة الإنساني على الإحسان و إيصال الخير إلى الغير.

يقول الشيخ **عبد الحميد ابن باديس** في رحاب هذا المعنى تحت هذا العنوان:(توضيح):

[1] المرجع السابق ص:88.
[2] المرجع نفسه ص:88-89.

"إننا نفرق جيدا بين الروح الإنسانية و الروح الإستعمارية ، في كل أمة ، فنحن بقدر ما نكره هذه و نقاومها ، نوالي تلك و نؤيدها، لأننا نتيقن كل اليقين إن كل بلاء العالم هو من هذه ، و كل خير يرجى للبشرية إنما يكون يوم تسود تلك ! فلتسقط الروح الإستعمارية و لتندحر، و لترتفع الروح الإنسانية و لتنتشر".

على هذا المبدأ ظل الإمام عدوا للإستعمار الفرنسي يحارب ظلمه و طغيانه ، و يحارب ما انجرّ عنه للأمة الجزائرية من جهل، و فقر، و مرض، و جمود ، وضعف، و تأخر ، و يشخص للأمة خطره على عقيدتها و دينها و لغتها و ثقافتها و تاريخها ، و كان يؤجج نار الحماسة و الوطنية في الصدور، بخطبة الملتهبة ، ومقالاته النارية الهادفة، و في رأسه نخوة العروبة ، و في نفسه حمية الإسلام، و في عروقه دم **عقبة بن نافع** ، و الأمير **عبد القادر**، و غيرهما من الأجداد و الأمجاد والذكريات عبر عصور الإسلام ، ارهف أذنك و استمع إليه و هو يحذر الأمة الجزائرية من الحكومة الفرنسية التي تستهدف بدسائسها محو الشخصية الجزائرية التي تتمثل في دينها و لغتها و تاريخها و يقول:

"أيتها الأمة الجزائرية المسلمة ، إن إسلامك اليوم في خطر، فاللجنة التي تنظر اليوم في **(بروجي فيوليت)** كبر عليها أن تعطيك تلك الحقوق القليلة إلا بمحو شخصيتك الإسلامية ، و قد دافع عنك فيها رجال من الجبهة الشعبية، [1]و لكن لم تكن لهم الأكثرية فاحذر من الوقوع في هذه المصيبة الكبرى التي تخرجين بها عن حظيرة الإسلام و ارفعي صوتك بالإحتجاج و الإستنكار فلعنة الله على الدنيا كلها إذا لم يكن فيها دين !

أيتها الحكومة الفرنسية ، إن الحقوق التي يطالبك بها المسلمون الجزائريون هي في مقابلة ما قاموا به مما أوجبته عليهم من بذل الأرواح والأموال، فأما دينهم وشخصيتهم

[1] المرجع السابق ص:89-90.

الإسلامية فإنهم لا يبذلونها، ولو أعطيتهم الدنيا كلها ، فكيف بالحقوق القليلة الطفيفة التي في **بروجي فيوليت**.

و قد قالت الأمة كلمتها في لزوم المحافظة على الشخصية الإسلامية يوم 7 جوان **1936**م بلسان مؤتمرها العام، المتركب من جميع طبقاتها و لا تزال تقولها في كل مناسبة !

فحذار من أن ترتكبي غلطة فادحة بمحو الشخصية الإسلامية الذي لا يسوء أثره في الأمة الجزائرية وحدها، بل يسوء أثره في العالم الإسلامي كله، و يعتبر في نظر الجميع – بحق– بترا لعضو من أعضاء الإسلام".

اعتادت فرنسا أن تعد بتلبية مطالب **ابن باديس** و تخلف –لاعتقادها أن مصلحتها في الإخلاف– حتى صار ذلك شنشنة لها و طبيعة فكتب مقالا بعنوان (هل آن أوان اليأس من فرنسا؟) يقول فيه:

"كذب رأي السياسة و ساء فألها كلا و الله لا تسلمنا المماطلة إلى الفجر الذي يقعدنا عن العمل، و إنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية.

أيها الشعب الجزائري ! أيها الشعب المسلم !أيها الشعب العربي الأبيّ ! حذار من الذين يمنّونك و يخدعونك حذار من الذين ينوّمونك و يخدرونك، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك و ضميرك، [1]و من غير تاريخك و قوميتك ، و من غير دينك ملتك ، و إبطال دينك و ملتك ، استوح الإسلام، ثم استوح تاريخك ، ثم استوح قلبك، اعتمد على الله ثم على نفسك، و سلام الله عليك.

و هكذا أسلمت الممطالة الشعب الجزائري الأبيّ إلى اليأس الذي دفعه إلى المغامرة و التضحية ، إلى ثورة نوفمبر الخالدة ، بعد أن استوحى دينه و تاريخه وقلبه، و اعتمد على

[1]المرجع السابق ص:90-91.

الله ثم على نفسه، فكان ما كان من النصر المبين، و أسدل الستار على أشلاء الإستعمار الفرنسي و أطلاله و أوزاره في أرض الجزائر !

و لما حلّت الذكرى المشؤومة، ذكرى مرور مائة عام على إحتلال قسنطينة في شهر سبتمبر سنة **1937**م و آن للمستعمرين أن يقيموا الإحتفالات الصاخبة بهذه المناسبة دون مبالاة بشعور المسلمين و عواطفهم، و آن للشيخ الإمام أن يوجه ضربة من ضرباته القوية المعهودة منه إلى الدوائر الإستعمارية – جمع أربع عشرة جمعية إسلامية في قسنطينة و بعد شرح واف لموضوع الإجتماع من طرف الشيخ طلب من الجميع أن يوافقوا على إعلان مقاطعة المأساوية الإستعمارية، ووقعت الموافقة فعلا، و أصدر الشيخ منشورا مؤرخا في **1937/09/28**م يدعو فيه السكان المسلمين جميعا إلى المقاطعة، مستخفا كعادته بأيّ خطر يلحقه من الإستعمار على هذا الموقف التاريخي الجريء ووزع المنشور بصفة واسعة بين الناس، و بذلك أحبطت مساعي المستعمرين، و سقط في أيديهم !

و مما جاء في كالمنشور:" في مثل هذه الأيام منذ قرن، مات أجدادكم المجاهدون المدافعون و الفرنسيون المهاجمون في ميدان البطولة و الشرف.

و يمضي مضيفا:" لكن قوما من الأنانيين، الذين يأبون إلا أن يكونوا سادة متفوقين ،[1] و إلا أن يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين، أرادوا أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة ، تثير العواطف ، و تمس كرامة الأحياء منّا و الأموات، و تنافي مبادئ الأخوة و الرحمة التي ندعو إليها ! يحتفلون احتفالاتهم ، و مطالب الشعب الجزائري بعرقلتهم معطلة، و حقوقه بسعيهم مهملة، وسوط القوانين الإستثنائية نازل بيدهم على ظهره في كل يوم، فقاطعوا هذه الإحتفالات و لا تشاركوا فيها".

[1] المرجع السابق ص:91-92.

إن جيل نوفمبر **1954** و أجيال ما قبله يدركون جرأة و شجاعة ووطنية من يقف هذا الموقف ضد فرنسا في ذلك العهد، أما جيل الإستقلال الذين لا يعرفون ظلم المستعمرين و جبروتهم ، فإنهم لا يتصورون ذلك، و لا يستطيعون أن يتصوروه، ولهؤلاء نقول: إن أدنى عصيان للمستعمرين يعني التأبيد في السجن مع الأشغال الشاقة ، أو التعذيب حتى الموت ، أو القتل و التمثيل بجثة العاصي للإعتبار !

و حسبنا ما ذكرنا في هذا المجال فإن مواقف الشيخ السياسية، و المواجهات البطولية التي وقفها ضد الإستعمار الفرنسي لا يتسع لها إلا مجلد ضخم !

و كيف لا و حياته السياسية كلها تفكير هادف، و عمل جادّ، و اقتحام للمهالك و الكروب !

و كان الشاعر **(محمد سحنون اللشايني)** عن مفهوم الإمام للسياسة يعبر في هذه الأبيات[1]:

لَيْسَ التَشَدُق بِالكَلاَم سِياَسَة كَلاَّ وَ لاَ ذكر المَجَازِر وَ الحُرُوبِ

أو أن تثير لَدَى المَجَالِس ضَجَّة حَوْلَ التَقَدُم و التَأَخُر فِي الشعوبِ

إن السَيَاسَة أن تُفَكِر دَائِمًا فِيمَا تُعَانِيه بِلاَدك مِنْ خُطُوبِ

و تَرَى فَتَعْمَل مَا تَرَى لِعِلاَجِهَا وَلَوْ اقْتَحَمَت لَهُ المَهَالِك و الكُرُوبِ

أمَّا التَشدق بالسِيَاسَةِ وحدهُ مِنْ غَيْرِ تَضْحِيَة فَمِنْ شَرِ العُيُوبِ

و قد ختم الإمام خطابه التاريخي بهذه الأبيات لإيمانه بصدقها و تأثره بها.[2]

[1] المرجع السابق :ص92-93.
[2] المرجع نفسه ص:94.

في مجال الدفاع عن الإسلام و العربية و كل ما هو حق:

وكان الإمام **ابن باديس**-رحمه الله- بالمرصاد لكل ما يكتب أو يقال عن الجزائر، أو عن العالم العربي و الإسلامي، أو عن العروبة و الإسلام، و لا يفوته من ذلك شيء، و هذا الباب واسع أيضا متعدد الجوانب ، و لا يفوته من ذلك شيء وهذا الباب واسع أيضا متعدد الجوانب متنوع الأهداف و الإغراض، فمن ذلك أن الأستاذ **عبد الحميد العبادي** نشر مقالا بمجلة **(الرابطة العربية)** سنة **1939م** تحت هذا العنوان (بلاد عربية تحتضر فيها العربية) و كان يقصد بهذه البلاد: المغرب العربي، فنشره الإمام في (الشهاب) و علق عليه بهذه الكلمة الوجيزة الوافية :" كلا بل هي -العروبة- اليوم تزدهر.. فقال لهم الله : موتوا ثم أحياهم".

و أصدر كاتبان فرنسيان كتابا بعنوان **(فرسان الله)** تحدثا فيه عن تاريخ الإسلام في قالب روائي فكتب عبد من عبيد الأقلام المأجورة يدعى **(روبير راندو)** فصلا ينتقد فيه الكتاب و يهجو الرسول صلى الله عليه وسلم في حملة مسمومة طائشة، و حقد ديني أعمى، و تهور همجي أخرق يفوق كل تهور، و ما كاد الإمام يطلع على هذه السخافات المسعورة[1]، و هذه الوقاحة السافرة حتى اهتزّ و بلغ به الغضب أقصى حد فكتب فصلا يتأجج سخطا و نقمة على العنصرية الحاقدة ، واللؤم السافل يفيض ألما و كدرا من هؤلاء الذين ينقمون على الإسلام أنه دين الرقي و الحضارة، و دين الفطرة الذي ارتضاه الله لعباده و كان مما قاله فيه:

"لقد أنصف الكثير من المؤرخين هذا الرسول الذي هو سيد الوجود، و درسوا سيرته الطاهرة .. و لبعض الغربيين في ذلك تآليف جمّة و كتب قيمة لكن بعض المؤرخين الذي سفلت أخلاقهم ، و خربت ذممهم و أعمى التعصب المسيحي الممقوت بصيرتهم قد عمدوا

[1] المرجع السابق، ص:94-95.

و الدكتور **طه حسين** أديب عملاق، و مكانته بين الأدباء مكانة فذّة ، و قد أثرى الأدب و الثقافة العربية بما جاد به فكره الخصب، و قلمه السيال من كتب وأبحاث ، و دراسات في شتّى المجالات، و لكنه كان يقول في الإسلام و والمسلمين ما شاء بلا تورع أو مبالاة، و من هنا كثر انتقاده و مهاجمته و قلّت ثقة الناس فيما يكتب في هذا المجال فمن كتبه التي كانت عرضة للنقد، و مثارا للآراء، و الأقوال كتابه عن السيرة النبوية العطرة: **(على هامش السيرة)** الذي ما كاد الشيخ **ابن باديس** يطّلع عليه، حتى كتب عنه مقالا بعنوان(دسائس **طه حسين** على السيرة النبوية الشريفة) يقول فيه :

"ألف **طه حسين** آخر ما ألف كتابا أسماه **(على هامش السيرة)**.. فملأه من الأساطير اليونانية الوثنية، و كتب ما كتب في السيرة الكريمة على منوالها، فأظهرها بمظهر الخرافات الباطلة، و الأساطير الخيالية[1]، حتى ليخيّل للقارئ أن سيرة **محمد صلى الله عليه و سلم** ما هي إلا أسطورة من الأساطير و في هذا من الدس والبهت ما فيه و من العجب أن قام أحد الكتاب بمجلة الرسالة يطري هذا الكتاب و يجعله الدليل القاطع على أن **طه حسين** ما يزال أزهريا رغم كل شيء ! فيقوم **طه حسين** في العدد التالي من الرسالة فيصدق ذلك الكاتب فيما ادعاه له من رسوخ أزهريته وديانته، حتى ليظن القارئ للمقالين أنهما ولدا في مجلس واحد، فالدكتور **طه حسين** الذي كان يقول على الإسلام ما شاء و لا يبالي بالمسلمين حسابا فلا يكتب شيئا إلا و هو يقول: و (يكرر) إنه مسلم و أنه يعظم الإسلام و لكن ما انطوى عليه صدره يأبى عليه إلا الظهور كما بدا جليا في كتابه هذا الأخير".

و إذا كان الشيخ الإمام بالمرصاد لكل ما يكتب عن الإسلام و القرآن والجزائر، فهو كذلك بالمرصاد لأولئك (الرسميين) الذين ينتسبون إلى الإسلام، و هم في حقيقتهم وواقعهم خصوم له أشداء، و أعداء ألدّاء، يقول الإمام في وصف هؤلاء أنهم :"قوم –ولا أعمم– ملكت رقابهم الوظائف فأنستهم أنفسهم، فباعوا ضمائرهم في مرضاة من يبتغون عندهم

[1] المرجع السابق ص:95-96.

العزة، و ذهبوا من الملق و التزلف إلى أقصى ما يبلغه المتزلفون و المتملقون، لم يكفهم ما قدموامن أنفسهم و من قومهم، و ما كذبوا ولفقوا بألسنتهم عن غيرهم ، فمدوا أيديهم –شلت أيديهم– إلى الإسلام و القرآن، و يكذبون يحرفون !

ثم ذكر الإمام واحدا من هؤلاء، و هو يمثل غيره من هؤلاء القوم الذين يعتبرون دماميل في جسم الأمة الإسلامية فقال:

" منذ زمن قريب قام قاضي **طرابلس** في هيئته الشرفية فقدم سيفا **لموسوليني** فلم يكفه أن يسميه سيف **طرابلس** فيكذب على وطنه و قومه فسماه سيف الإسلام ليكذب على دينه و ربّه و زاد على هذا الإفك المبين، و الجرأة السمجة ، أن سمى مستعبده و مستعبد إخوانه المسلمين (حامي الإسلام) !"[1]

إلى أن يقول: "حقا أن قساوسة النصارى و أحبار اليهود لأنزه منكم و أشدّ احتراما للدين، فما سمعناهم يدخلون النصرانية و اليهودية، و كتبهما في مضايق الدعايات بالكذب و التحريف مثلما تفعلون !"

و ختم مقاله الذي يفيض ألما و حزنا من وضع هؤلاء المشوذهين للإسلام بقوله:" يا هؤلاء، إننّا لا نريد أن نتعرض لأعمال وظائفكم فيما قلنا، و إنما هي كلمة حق يوجبها علينا الدين الذي تشاركوننا فيه، و لهذا قلنا و ما زلنا نقول لكم: اتقوا الله في هذا الدين و كتابه إن كنتم مؤمنين".

و لما كتب الشيخ **طاهر الحداد** كتابة عن المرأة التقى بالأستاذ الإمام بتونس سنة **1929** و حدثه عنه ففهم من حديثه(أنه يتكلم فيه عن النهوض بالمرأة نهوضا صحيحا و تعليمها تعليما مفيدا في حدود الإنسانية الكاملة ، و ما توقع منه أنه يكون ممن يدعون إلى الذهاب بها في تيار المدنية الغربية إلى ما يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أنوثتها، فإذا

[1] المرجع السابق ص:96-97.

به لما أهدى إليه كتابه و طالعه، وجد ما هو أدهى من ذلك وأمرّ، يقول الإمام:" وجدناه يدعو إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحة القطعية الإجتماعية، و تعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر، و هذا هو الجحود نفسه لبعض القرآن، و جحود بعضه كجحود كله في مفارقة الإسلام أفيجهل هذا الأصل الشيخ **الحداد** أم رضي لنفسه بانطباقه عليه؟ نحن لا نخشى على المسلمين من دعوته شيئا لأنه من المعلوم الضروري عندهم أن جحود شيء من القرآن كفر به، و إنما نخشى عليه هو أن يستمر على عقيدته فيكون من الهالكين[1].

و اطّلع الإمام على مقال نشر في مجلة (**المقتطف**) الذي أنشأه الدكتور **يعقوب صروف** يقول فيه محرره تحت هذا العنوان (**مفاخر أور الكلدانيين**):" لقد جاء في بعض الخرافات العربية القديمة أن عاصفة من الرمل دمرت مدينة عاد، فأصبحت بعد العاصفة و لا عين له و لا أثر" فردّ عليه الإمام بقوله:" لاشك أن كاتب المقال ليس مسلما، كما لا نرتاب أنه لا يجهل أن قصة عاد من قصص القرآن ، فتعبيره عنها بالخرافة من سوء الأدب الذي ما عهدنا في المرحوم الدكتور **صروف** الذي كان في علمه و فلسفته و شدة تحقيقه دينا صحيح التدين محترما لكتب الأديان، هذا من الوجهة الأدبية، و أما من الوجهة العلمية فإن الحكم على قصة مشهورة متواترة عند أمة بأنها خرافة بدون بحث و لا تدليل ليس من شأن العلماء المحصلين".

في مجال تأسيس الجمعيات و المساجد و النوادي:

سبق أن ذكرنا أن من مشاريع الإمام **ابن باديس** الهامة التي كان يؤسسها لبناء الجزائر الجديدة ،التي كانت على قاب قوسين أو أدنى من هاوية اليأس، من هاوية اليأس من جراء تظافر عوامل القهر و الخراب ،تأسيس المدارس[2]، و النوادي وبناء المساجد الحرة

[1] المرجع السابق ص:97-98.
[2] المرجع نفسه ص:99.

هذا الثالوث الحيوي الذي به انبعثت الحياة في كيان الأمة الجزائرية، و لا نريد أن نتعرض لذكر هذه المؤسسات لأن ذلك يتطلب تأليفا خاصا، و لأنه أيضا غير مجهول لأن الذين اهتموا بحياة الإمام و نهضته العلمية والإصلاحية ، قد يتعرضون لها في كتاباتهم أو خطبهم، إما إجمالا و إما تفصيلا، وإنما الذي نريد استعراضه و تسجيله ،هو تأسيس الكشافة الإسلامية، الذي كان من إرشاد الإمام و توجيهه حدثنا بهذا مرشد الكشافة الحاج **عبد الرحمان سعيدي** –رحمه الله– الذي كان تاجرا بالقبة[1]، و له ولع بالعلم و العلماء، و لا يلذ له إلا الحديث فيهما، حدثني في متجره صبيحة يوم الخميس من شهر ماي **1980م** يقول: كنا صبيحة يوم الأحد من سنة **1936**، بنادي **الترقي** نتجاذب أطراف الحديث عن قضايا مختلفة ، و كان من بيننا الشهيد **محمد بوراس**، فاحتدم النقاش بيننا وارتفعت الأصوات فرأى بعضنا أن يهدئ العاصفة، فاقترح أن نخرج للبحث عن فيلم يليق بنا كشباب مسلم، و لم نكن نعلم أن الشيخ **عبد الحميد** كان في الغرفة المجاورة، و ما داعنا إلا أن فتح الباب و خرج و على وجهه بسمة مشرقة فقال في لهجة آمرة:

"لا تدخلوا السينما فإنها تطفئ عقولكم البصيرة، بل اذهبوا إلى الطبيعة وروّحوا عن أنفسكم في أحضانها، و انظروا فيها نظر المتأمل البصير".

قال ذلك و عاد إلى الحجرة، فانطلقنا إلى الطبيعة، تدفعنا كلمة الشيخ فذهبنا إلى **(زغارة)** في نواحي السيدة الإفريقية، و ما أن وصلنا إليها حتى وجدنا فرقة من الكشافة الفرنسية تحيط بمرشدها، و هو راهب فرنسي ووقفنا نسمع إليه، و هو يلقي كلمته التوجيهية التي جاء بها:

" أوصيكم بالتعاون بينكم، فلا شيء يضمن التقارب و التآلف مثله، و ليس كالتعاون لبناء الوحدة و غلبة الأيام".

[1] المرجع السابق ص:99-100.

و هنا التفت إلينا **بوراس** –الراوي يقول– و قد تأثر بكلمات المرشد و قال: ما رأيكم في تكوين كشافة جزائرية مسلمة؟

و تناقشنا في الموضوع، و لم نفترق حتى اتفقنا على بدء العمل، و لم تمض إلا أشهر قليلة، حتى تكونت الكشافة الإسلامية، بقيادة الشهيد **بوراس** و عضوية الآخرين الذين وجههم الشيخ **باديس** إلى الطبيعة[1]، لينظروا فيها نظر المتأمل البصير و كان الإمام بعد ذلك يتعهدها بالنصح و التوجيه و يذكى فيها روح العروبة و الإسلام.

و قد تمنّى يوما أن يكوّن علماء قسنطينة باجتماعهم معهدا علميا يكون نواة لكلية دينية في الجزائر، و تحقق ذالك الأمل بعد وفاة الإمام، و أنشأت الجامعة الإسلامية التي هي هذه الكلية التي كان قد تمناها و ها هي أمنيته كما جاءت في مجلة (**الشهاب**) ج 10 م 5 بتاريخ جمادى الثانية **1348هـ** نوفمبر **1929م**.

" في قسنطينة علماء مدرسون منهم: الشيخ **أحمد الحبيباتي** خريج المنعم الشيخ (**عبد القادر المجاوي**) و المنعم الشيخ (**حمدان الونيسي**) و المدرس الرسمي بجامع سيدي الكتاني، و منهم الشيخ **الطاهر ابن زقوطة**، خريج الشيخ **حمدان الونيسي** و الإمام بالجامع المذكور، و منهم الشيخ **الزواوي الفكون**، خريج الشيخ الونيسي أيضا و الإمام بالجمع الكبير، و منهم الشيخ **يحيى الدراجي** المتطوع بجامع الزيتونة إمام المسجد سيدي الدرار، و منهم أساتذة المدرسة الدولية (**الرسمية**) الشيخ **المولود بن الموهوب** المفتي، و الشيخ **الصالح بن العابد**، و الشيخ **عبد الحميد بن جامع** و منهم صاحب هذه المجلة (**الشهاب**).

كل هؤلاء السادة مدرسون دائما أو في بعض الأوقات فهل لحضاراتهم أن يكوّنوا باجتماعهم معهدا علميا يكون أساس كلية دينية إسلامية بالجزائر؟

[1] المرجع السابق ص:100-101.

نم هنيئا في جوار ربك –يا **عبد الحميد**– فقد تحقق أملك الذي كان حلما، وذلك سر تضمن أسرار النفوس الكبيرة، و القلوب المطمئنة، و العقول البصيرة و لخص أطوار الجهاد الخالص لله تعالى [1]!

في مجال الأدب و الفن و الجمال:

و تجدر الملاحظة إلى أن هذا الإمام المصلح المجدد، و الفقيه السني، والمربي الماهر، و المفسر الكبير، و الوطني الغيور، و العابد المتصوف، و الذي إذا رأيته بعمامته الكبيرة ، و لحيته الكثيفة، و ثيابه البيضاء، و نعلين من الطراز العتيق، لم يخامرك شك في أنه قد نسي دنيا الأدب و الفن و الجمال، و تركها لأهلها، أو أنه لم يخلق لها، و لم تخلق له، فلا يتحدث عنها و لا يميل إليها، و لا علاقة له بأهلها ، هم في واد و هو في واد !

هذا الرجل الذي تستبعد أن يكون له ذوق في الأدب أو ميل إليه، أو فهم فيه هو أديب موهوب له ذوقه الرفيع، و حسه المرهف، و طاقة فنية تأتي بالرائع المبدع و الجميل الخلاب ، إذا تحدث عن مشاعره و خواطره أو مشهد طبيعي، استأثر بأحاسيسه تدفقت عبقرته في أسلوب جذاب، فإذا الصورة كاملة مشرقة أمام عينيك تنطق، و تعبر ،و توحي، و تلهم، و كم تحدث مع الخاصة من أهل الفكر و القلم، فسما بهم إلى وجود آخر و حلق بخياله الخصب في فضاء سحري مجهول ، ما عرفه غير ذوي العبقريات النابغة ، و لا أريد أن أقدم في ذلك نماذج من تراثه الأدبي المشرق، لأن ذلك سيمدد نفس هذا الموضوع، و نحن نحرص على الإيجاز ما أمكن ، و لأنه أيضا ربما أوهم القارئ الكريم أن هذا النوع قليل في الأعمال الفكرية للشيخ، حتى قدمت نماذج منه، و الحال أن أبرز المميزات لكتابة الشيخ براعة الذهن، و عبقريةالبيان و نصوع الفكرة، ووضوح الرؤية، كما أشرنا آنفا، وحسبي

[1] المرجع السابق ص:101-102.

أن أقدم موقفا من مواقف نابضة بحاسته الأدبية المرهفة و ذوقه الرفيع الذي يملك عليك إعجابك به و تقديرك له[1]:

نظم الشاعر **جلول البدوي** موشحا يتغزل بإحدى الفاتنات اللائي يسرقن القلوب بجمالهن، و لما انتهى منه و قد أفرغ فيه عواطفه بقدر ما يهز النفوس، و يرضى الجمال، و جاء موشحا كأن مقاطعه بسمات ثغر و لحظات عين و تثنيات قد والتفاف جسم انتشى له و طرب و رأى أن مولودا مثل هذا يجب أن يرى النور و أن و أده في درج المكتب، أو بين الكتب ، و الدفاتر جريمة لا تغتفر، ففكر في بعثه إلى **(الشهاب)** و كان إذ ذاك صحيفة، و لكن كيف ذلك و صاحب **الشهاب** هو الشيخ **عبد الحميد بن باديس؟**.

فهل من الأدب، و الذوق أن يبعث إلى إمام في التفسير، و الحديث ،و الفقه موشحا في الغزل لينشره في صحيفة تخدم الدين و الوطن؟

إن المعروف عن العلماء، أو عن جلهم الذين لهم شهرة بارزة في ميدان العلوم الدينية، و مظهر محترم يوحي بالجلال و الوقار أنهم يستخفون بمثل هذا الشعر و يعتبرونه سخافة تزري بالمروءة و تحط من قيمة الإنسان وكل حديث عن الجمال و خاصة جمال المرأة ،يعد عندهم هجرا يجلون أفواههم أن تنطق به، و لغوا ينزهون عنه آذانهم مع أنهم يقرأون في القرآن الكريم مثل هذه الآية: ﴿**فَيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَ لاَ جَآنٌّ**﴾[2].

فهل كان إمامنا مثلهم؟

[1] المرجع السابق ص:102-103.
[2] الرحمن:56.

الواقع يشهد أن الإمام **عبد الحميد** كان طبيعيا، و كان على النهج القويم في كل شيء، فلم يكن معقدا أو متحجرا، بل كان متفتحا يواكب الطبيعة و لا يصادمها و يسير مع الشريعة و لا يحيد عن سننها[1].

حكم طموح الشباب حكمه الذي لا يرد و لا ينقضي، فبعث الشاعر بموشحه إلى الشيخ **عبد الحميد** مغفلا من العنوان، و ما راع الشاعر إلا أن يرى الموشح منشورا في العدد الأول من الصحيفة، و قد إختار له الشيخ عنوانا شاعريا يشف عن ذوقه الأدبي الممتاز، و عن روحه الخفيفة ، و طبعه المرن:(غزل عفيف في غزال ظريف)[2].

في مجال مواجهة الطرقيين و محاربتهم:

من الطرقيين من فهموا الإسلام فهما صحيحا، و تفاعلوا معه بعمق، وجاهدوا في سبيله بصدق و حرصوا جد الحرص على أن يمثلوه خير تمثيل فهؤلاء كانوا مع الإمام ابن باديس هداة يضيئون الدرب للمدجلين، و جنودا يدافعون عن الإسلام ويحمون ذماره و مصلحين يجددون للأمة أمر دينها و حياتها و ينهضون بها من كبوتها ، و لعل هؤلاء يمثلهم الطرقي المعلم الشيخ **عبد العزيز الهاشمي** الذي نوّه به الإمام و أشاد بعلمه و فكره الحر، و قال فيه بالخصوص:

"كان الشيخ **الهاشمي** شيخ الطريقة القادرية –رحمه الله– رجلا قويا ذكيا، واسع الحيلة، بعيد النظر، فأدرك بثاقب رأيه أن ما عليه الطرقية من الجهل و الجمود لا يمكن أن يستمر طويلا في عصر العلم والنهوض،وأن المستقبل للعام ولا محال فولى و قدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، و حبس أملاكه كلها على العلم و اشترط في حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أئمة و مدرسين و متعلمين، و اشترط في أبناءه أن لا حظ لأحدهم في الحبس إلا إذا حصل على شهادة العالمية **(التطويع)** من جامع الزيتونة، و جعل الإشراف

[1] المرجع السابق ص:103-104.
[2] المرجع نفسه ص:104.

على الحبس لنظارة جامع الزيتونة و بنى عمله هذا على أن أملاكه هي أموال المسلمين فلتعد بالنفع على المسلمين[1].

رأى الشيخ **الهاشمي** اتجاه **ابن باديس** و جمعيته الفتية نحو حياة فضلى للأمة الجزائرية قوامها العلم و المعرفة، كما رأى ذلك طرقيون آخرون قبله، فكتب إلى الشيخ يبدي له رغبته في الإنخراط في الجمعية وهذا ما ذكره الإمام في مقاله عن الشيخ **الهاشمي** في قوله :

" في السنة الماضية قبل الإجتماع العام كاتبني الشيخ **عبد العزيز** يرغب مني الإنخراط في **جمعية العلماء**، فأجبته بأن الجمعية مفتوحة الأبوب و لجميع المسلمين و خصوصا لأمثاله من العلماء و أحسب أني ذكرت له أن الجمعية تأسست و في المؤسسين لها جمع كثير من شيوخ الطرق، و أن القانون الأساسي الذي وضع باتفاق من الجميع ، ما زال معتمدا هو بنفسه، فلما كان الإجتماع العام الماضي رشح للمجلس الإداري بصفته عالما و شيخ الطريقة القادرية فانتخب بما يقرب من الإجماع".

والطرقيون الذين هم على هذا الطريق و في هذا الإتجاه الإسلامي الصحيح كانوا مع الشيخ ابن باديس و الذين معه من رجال الإصلاح كتلة تظافرت جهودها على البناء، و توحدت أفكارها على الإصلاح، و كانوا بفضل تفاهمهم و انسجامهم شبحا يرهب المستعمرين، و يجعلهم يقرأون لهم ألف حساب.

و في هذا المضمار نذكر تقدير الإمام ابن باديس للطرقيين الذين هم برءاء من البدع و الخرفات، و كان همهم دائما خدمة الإسلام و القرآن و اللغة العربية، ومن هؤلاء الشيخ **محمد الطاهر آيت عيسى** الذي زاره **ابن باديس** في زاوية جده الشيخ **الشريف** بقرية **تمليلين**

[1] المرجع السابق، ص:104-105.

أو التقاه في مدينة **تغزيرت** في الثلاثينيات و أشاد بجهوده في خدمة القرآن و الإسلام و اللغة العربية[1].

كما نذكر زيارته إلى زاوية سيدي **عبد الرحمان اليلولي** سنة **1931** هي زاوية و لكن لكونها زاوية قرآن و شريعة، و علم و معرفة ،و إصلاح و توعية، زارها و شجع طلبتها على مواصلة المسيرة، و غادرها و هو يحمل انطباعات جميلة عنها! ن

و أما الطرقيون الذين جنّدهم إبليس لتشويه الإسلام، و الإنحراف به عن جادت، المصابون بالجدب العلمي، و الشلل الفكري، و الخلل في الرؤية، والضعف وفي التقدير، و الخطأ في التدبير، فهؤلاء كانوا أعداء أشداء، و خصوما ألداء للشيخ الإمام و لجمعية العلماء، فعلى قدر ما يبذل هؤلاء من جهود في سبيل نشر الإصلاح في الجزائر، و من أجل تحريرها من البدع و الخرافات و الأباطيل، يبذل أولائك جهودا من أجل إرساء الأوهام في العقول ، و إبقاء الوضع المتعفن بالجمود والخمول و التقليد على ما كان عليه.

و الذي لا يحتاج إلى توضيح ، و لا إلى دليل ، هو أن بين اتجاهين: الإصلاحي و الطرقي بونا شاسعا في التفكير و العمل، يجعل الإصطدام بينهما سهلا واردا، و من هنا كان اصطدام الإمام الشيخ **ابن باديس** بشيخ الطريقة العلوية **أحمد بن عليوة المستغانمي** و هو أول من اصطدم به الشيخ، و لهذا الإصطدام دواع تشمل الهدفين اللذين (أعلن **ابن باديس** أنه يعمل لهما في الميدانين الديني والدنيوي، و قد تيقّن بخطورة هذه الطريقة فيهما: –أما الهدف الأول فقد تيقّن الخطورة مما تروجه الطريقة من مبادئ الباطنية و الدعوة إلى مذهب الحلول ووحدة الوجود وأما الهدف الثاني –السياسي– فهو اتصالها بالقوى الإستعمارية و التحالف معها و التعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج[2]. و مما يدل على اتصال هؤلاء بالسلطات الإستعمارية الفرنسية و التعامل معها ما جاء في كتابهم

[1] المرجع السابق ص:105-106.
[2] المرجع نفسه ص:106-107.

(الشواهد و الفتاوى) فقد قال صاحبه في ترجمته للشيخ **عدة بن تونس** و هو العضو الأيمن للشيخ **ابن عليوة** في حياته، و خليفته بعد موته و هذا نصه:

"إنه انخرط في سلك العسكرية الفرنسية –على ما يقتضيه القانون الجبري– وصار مقره القشلة بدل المسجد، فعكف على عمله الذي هو من عادته و كان يستعطف من حوله من أفراد الجند ليستميلهم إلى العمل بالدين، و يجيب لهم الذكر و الذاكرين إلى أن صارت كلمة الإخلاص تذكر ليلا نهارا داخل القشلة بأصوات مرتفعة ثم اشتدت الرغبة في الذكر، على الأسلوب المعتاد، عند الفقراء إلى أن استحسن رؤساء الجند الفرنسيين تلك الأنغام ، فألزموا الجند أن يكرر كلمة كلمة الإخلاص بتلك الصيغة في حال مشيهم النظامي و رجوعهم من التعاليم الرسمية اليومية، يدخل المدينة بكلمة الإخلاص، يتقدمهم فضيلة السيد **عدة** مع من كان معه من الفقراء و بلغني أنه لما انتقل إلى مدينة رأس الماء من حدود الصحراء فعل ما يقرب من ذلك من جهة تصير من حوله من العساكر في صفة الذاكرين فكان مكثهم بالمسجد أكثر من مكثهم في غيره".

و في هذا الوقت الذي يقع هذا في القشلات الفرنسية من أحد الطرقيين كان علماء الإصلاح يسجنون مع المجرمين، و يطاردون من المساجد و يمنعون من رخص التعليم !

ومما كهرب الجو و باعد بين الجانبين أن الشيخ **ابن عليوة** أقام دعوى قضائية على جريدة **(الشهاب)** الأسبوعية لنشرها مقالين اثنين قيل عنهما أنهما يمسان بسمعة الطريقة العلوية[1] ، المقال الأول بتوقيع **(بيضاوي)** و قد قيل أن الشيخ **مبارك الميلي** –رحمه الله– هو المستعير لهذا التوقيع و الثاني بإمضاء (الطلبة) أو (التلاميذ).

[1] المرجع السابق ص:107-108.

و كان الشيخ **ابن باديس** قبل ذلك قد نشر رسالة قيمة في نقض مذهب الحلول الذي ينتحله صاحب الطريقة المذكورة ، و فنّد مزاعمه في هذا الموضوع وخاصة فيما يتعلق بسوء أدبه مع **النبي صلى الله عليه وسلم** في أبيات شعرية ملفقة في هذه:

إنْ مُتَ بالشوقِ منكد ما عُذْرَ ينجيكَ

إن تبق في هَجري زَائِد للمَوْلَى ندعيكَ

من هو بالمُلْكِ مُوَحد ينظر في أمـركَ

عَبس بالقول تساعد ما نرجوه فيــكَ

و قد ذكر الشيخ **ابن عليوة** مذهبه (مبدأ الحلول ووحدة الوجود) في كثير من أشعاره التي تضمنها ديوانه المطبوع في تونس سنة **1920**، و لما سئل عن ذلك اعتذر بأنه رأى **الرسول صلى الله عليه وسلم** و هو في سكرة من سكراته و تقدم منه في ذلة و خضوع فوجد منه ترفعا و تدللا فقال فيه تلك الأبيات، و فيها يتهدد **الرسول صلى الله عليه وسلم** و يتوعده أنه إن مات بالشوق إليه فلا عذر له ينجيه و أنه سيحاكمه إلى الله و ينتصر عليه، و هذا كله –طبعا– هوسا عقليا لا يقبله العقل السليم ، و لا الذوق الأدبي مع مقام **الرسول صلى الله عليه و سلم** أما أتباع هؤلاء فإنهم يرونه من الصوفية الشاعرية ، التي يرتفع إليها هؤلاء الخاصة و لا يدرك كنهها غيرهم من رجال الإصلاح [1]!

و لما رفعت الأبيات المذكورة إلى الشيخ عبد الحميد ابن باديس و سئل عن حكم من يقولها و هل يجوز أن يوجه إلى **الرسول صلى الله عليه وسلم** مثلها –تردد في الجواب أولا ثم إستخار الله تعالى و كتب في الرد على صاحبها رسالة علمية صغيرة الحجم غزيرة العلم بعنوان (جواب سؤال عن سوء مقال) في نقض مذهب الحلول الذي ينتحله صاحب الطريقة المذكورة و فند فيها مزاعمه في هذا الموضوع، و خاصة فيما يتعلق بسوء أدبه مع **الرسول**

[1] المرجع السابق ص:109-110.

صلى الله عليه وسلم في الأبيات المذكورة آنفا، و قد انتهى الشيخ من تحرير هذه الرسالة في شهر ذي الحجة **1340هـ 1922م**، وأرسلها إلى كبار علماء تونس و الجزائر و المغرب فقرأوها ووافقوا على ما فيها من أقوال و آراء و حكموا على من تقوّل على **الرسول صلى الله عليه وسلم** بتلك الأقاويل بالضلال !

و من هؤلاء العلماء: الشيخ **محمد النخلي**، و الشيخ **بلحسن النجار**، و الشيخ **الطاهر ابن عاشور**، و الشيخ **محمد الصادق النيفر** و الشيخ **معاوية التميمي** و كلهم من مفاخر تونس و مشاهير علمائها ، و الشيخ **شعيب بن علي التلمساني** و الشيخ **مولود بن الموهوب القسطنطيني** و هما من الجزائر أما من المغرب فالشيخ **العابد بن أحمد بن سودة** و **الشيخ محمد بن العربي** و الشيخ **عبد القادر** كما قرظها غير هؤلاء من رجال الصحافة في المشرق و المغرب[1].

[1] المرجع السابق ص:110.

الفصل الثاني

معنى العروة الوثقى في القرآن الكريم :

ذكرت كلمة **العروة الوثقى** في موضعين من كتاب الله تعالى، الأولى في سورة البقرة قال الله تعالى:« **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**».[1]

والثاني في سورة لقمان قال الله تعالى :﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**﴾.[2]

وهي في كلا الموضعين قد فسرت بعدة تفاسير فقد فسرها بعض المفسرين ب(**لا إله إلا الله**) ، وقال آخرون هي الإيمان ، وقال آخرون هي القرآن، وكل هذه الأقوال لا تعارض بينها لأن من تمسك بلا إله إلا الله ، فقد تمسك بالإيمان والإسلام والقرآن ، والمقصود أنه تمسك بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه وكان المتمسك به على ثقة من أمره لكونه استمسك **بالعروة الوثقى** التي لا انفصام لها أي لا انقطاع لها.

وجاء في تفسير آخر أن الله تعالى يوضح في تعبير **العروة الوثقى** أن المتمسك بعروة قوية ومتينة ومحكمة وهي الحق فلا انفصام لها ولا تكسر لأن الله هو متولي الأمر كله لأنه تبين الله الحق من الباطل فأمن بالله وحده واعتصم به وكفر بما عداه من طواغيت الأرض ، فالله شبّه الله الحق بحبل متين به **عروة وثقى** أي مقبض أو عقدة وهي أمتن ما في الحبل فمن تمسك بها نجا وسلم. وعلى الإنسان رعاية أخيه الإنسان عندما تعترضه مصائب الحياة ويكوّنوا جميعا حبل متين **وعروة وثقى**[3]، ومن هنا تظهرلنا حقيقة تسمية هذه المجلة بهذا الاسم الذي أنزل في كتاب الله وتكون منهاجا يقتدى به في الإصلاح الديني.

[1] البقرة:256.
[2] لقمان :22.
[3] معلومات من الأنترنت.

تعريف جماعة العروة الوثقى:

هي جمعية سرية أسسها رائدان من رواد النهضة الإسلامية العربية في الشرق الإسلامي في هذا العصر، هما **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** في باريس سنة **1884** وكانت لها فروع في الهند ومصر وغيرها من أقطار الشرق الإسلامي، وكانت تدعو إلى يقظة العرب والمسلمين بصفة خاصة، والشرقيين بصفة عامة، وتدافع عن بلادهم ضد الإحتلال الأجنبي وتعمل على محاربة اليأس القاتل الذي طغى على نفوسهم وأوهمهم أنهم لن يلحقوا بركب الحضارة أبدا و إنهاض الدول الإسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام بشؤونها[1].

ولم يقدم **محمد رشيد رضا** على فتح ملف هذه **الجمعية** ، حتى أصبحت كما يقول من الحوادث التاريخية ، حيث نشر دستور هذه **الجمعية** سنة **1931** وذيله يذكر اليمين الذي كان يحلفه المنتسب إليها ، وهي من وضع الأستاذ **محمد عبده** ، ونصه :

"أقسم بالله العالم بالكلي وبالجزئي والخفي القائم على كل نفس بما كسبت الآخذ لكل جارحة بما اجترحت ولأحكمن كتاب الله تعالى في أعمالي وأخلاقي، بلا تأويل ولا تضليل ولأجيبنّ داعيه إلى ما دعا إليه، ولا أتقاعد على تلبيته في أمر، ولا في نهي ولأدعون نصرته، ولأقومن مادمت حيا ، لا أفضل على الفوز بها مالا ولا ولدا ، أقسم بالله مالك روحي ومالي القابض على ناصيتي ، المصرف إحساسي ووجداني الناصر لمن نصره ، الخاذل[2] لمن خذله ، ولأبذلن ما في وسعي لإحياء الأخوة الإسلامية، وأنزلها منزلة الأبوة والنبوة الصحيحتين ، ولأعرفنّها كذلك لكل من ارتبط برابطة **العروة الوثقى** ، وانتظم في عقد من عقودها ، ولأراعيها في غيرهم من المسلمين ، إلا أن يصدر عن أحد ما يضر بشوكة الإسلام فإني أبذل جهدي في إبطال عمله، المضر بالدين وآخذ على نفسي في أثره مثل ما

[1] تركي رابح عمامرة ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر ص:129.
[2] جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى، دار الكتاب الغربي ، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة 1983 ص:24-25.

أخذ عليها في المدافعة عن شخصيتي ، أقسم بهيبة الله وجبروته الأعلى ألا أقدم إلا ما قدمه الدين ولا أؤخر إلا ما أخره الدين ولا أسعى قدما واحدة أتوهم فيها ضررا يعود على الدين جزئيا أو كليا، ولا أخالف أهل العقد الذين ارتبطت معهم بهذا اليمين في شيء يتفق رأي أكثرهم عليه وعليّ عهد الله وميثاقه أن أطلب الوسائل لتقوية الإسلام والمسلمين ، عقلا وقدرة بكل وجه أعرفه ، وما جهلته أطلب علمه من العرفين لا أدع وسيلة حتى أحيط به بقدر ما يسعه إمكاني الوجودي، وأسال الله نجاح العمل، وتقريب الأمل، وتأييد القائم بأمره والناشر لواء دينه آمين ".

ولم يكن يتاح لأعضاء **الجمعية** البوح بواحد من أسرارها حسب المادة 26 من دستور الجمعية: "لا يباح لأحد من رجال العقد أن يذكروا شيئا من أحوالهم ومقاصدهم ومذاكراتهم عند من ليس من مقصده شيئ، بل لا يباح التصريح باسم العقد وأهله إلا لمن حصلت له الثقة بحاله عند رجال العقد"[1].

وكانت لهذه **الجمعية** جريدة عرفت كذلك باسم جريدة **العروة الوثقى** صدر أول عدد منها في 13 مارس**1884**م الموافق ل5جمادى الأولى **1301**، وقد كانت مقالاتها جامعة بين روح **جمال الدين الأفغاني** الذي كان مديرها **ومحمد عبده** الذي كان محررها فجاءت آيات بينات لسمو معانيها وقوة الروح ببلاغة العبارة [2]، وهي أشبه ما تكون بالخطب النارية تستثير الشجاعة في نفوس قرائها، وتداني في روحها وقوة تأثيرها أسلوب الإمام **علي** كرم الله وجهه في خطبه الحماسية المنشورة في نهج البلاغة ، وقد اتخذت **العروة** شعارها وهو إيقاظ الأمم الإسلامية والمدافعة عن حقوق الشرقيين كافة، ودعوتهم إلى مقاومة الإستعمار الأوربي والجهاد.

[1] المرجع السابق ص:24-25-26.
[2] تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي و التربية في الجزائر ص:129.

وقد ذاع شأنها في العالم الإسلامي ، وأقبل عليها الناس في مختلف الأقطار، ولكن الحكومة الإنجليزية أقفلت دونها أبواب مصر والهند، وشدّدت مطاردتها واضطهاد من يقرؤوها ، وبلغ بها السعي في مصادرتها أن أوزعت الحكومة المصرية بترغيم كل من توجد عنده **العروة الوثقى** خمسة جنيهات إلى خمسة وعشرين جنيها ، وأقامت الموانع من دون استمرارها فلم يتجاوز ما نشر منها 18 عددا .

وبالرغم من هذه المصادرة والتشديدات التي فرضتها الحكومة الفرنسية على جريدة **العروة الوثقى** إلا أنها كانت تصل إلى بعض المثقفين الجزائريين الذين يحرصون حرصا كبيرا على قراءتها خفية عن عيون الاستعمار[1].

أهداف جماعة العروة الوثقى:

لم تنشأهذه الجماعة لإثارة الخواطر ، ولا إيقاظ الفتن ، وإنما أنشأت للمدافعة عن حقوق الشرقيين عموما، والمسلمين خصوصا ، وتنبيه أفكار بعض الغافلين منهم لما فيه خيرا لهم.

-ولقد صدرت سالكة جادة الإعتدال، ذاهبة مذهب الإستقامة والعدل .

-وكانت تدعو إلى يقظة العرب والمسلمين بصفة خاصة والشرقيين بصفة عامة[2].

-تدافع عن بلادهم ضد الإحتلال الأجنبي ، وتعمل على محاربة اليأس القاتل الذي طغى على نفوسهم وأوهمهم أنهم لن يلحقوا بركب الحضارة أبدا.

وقد نادت بالوحدة الإسلامية وبعث الحركة العربية الإسلامية العامة في العصر الحديث ،بعد أن أحييت النفوس وقوف الرابطة بين المسلمين وفتحت عيون العرب على خطر الاستعمار الأوروبي الداهم على بلادهم . -الحث على التجديد في العالم الإسلامي.

[1] جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده، العروة الوثقى ص: 26.
[2] المرجع نفسه ص:24-25.

أهم أعلام جمعية العروة الوثقى:

أولا : جمال الدين الأفغاني:

نبذة عن حياته :

ولد جمال الدين سنة **1839م/1254**هـ في أسد أباد إحدى القرى التابعة لولاية كنر من أعمال كابل عاصمة الأفغان ، ووالده السيد **صفدر** من سادات كنر الحسينية ، ويرتقي نسبه إلى **عمر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، ومن هنا جاء التعريف عنه بالسيد **جمال الدين الأفغاني**، يؤكد العلاّمة **مصطفى جواد** أن **جمال الدين الأفغاني** ، يعتبر من أهم الشخصيات الأفغانية بعد الإمام **أبو حنيفة النعمان** وتدعى المصادر أن شركة الأفغاني ولدت في **1838**م في أسعد أباد مقاطعة في مقاطعة "كونار" في أفغانستان، الوثائق(خصوصا مجموعة من أوراق اليسار في إيران عند طرده في **1891)** كان ولد وأمضى طفولته في "اسعد أباد" أفغانستان، وقد تربى دينيا ليكون مسلماصوفيا، ولكن عرف كونه من المسلمين الأصوليين، متوافقا مع الأفكار السائدة التي تقف حاجزا أمام سلطة الفكرة والشخص أمام الجماهير المنحازة للعاطفة الدينية[1]

لأسرته منزلة عالية في بلاد الأفغان لنسبها الشريف ، ولمقامها الاجتماعي والسياسي إذ كانت لها الإمارة والسيادة على جزء من البلاد الأفغانية ، تستقل بالحكم فيه، إلى أن نزع الإمارة منها "دوست **محمد خان أمير الأفغان** " وقتئذ ، وأمر بنقل والد السيد **جمال الدين الأفغاني** و بعض أعماله إلى مدينة كابل ، وانتقل **الأفغاني** بانتقال أبيه إليها ، وهو بعد في الثامنة من عمره ، فعني أبوه بتربيته وتعليمه على ما جرت به العادة عند الأمراء والعلماء في بلاده.

[1] مصطفى عبد الرزاق، جمال الدين الافغاني، جريدة العروة الوثقى ،العدد2، دار الكتاب العربي ، بيروت، سنة 1983 ص:19.

كانت مخايل الذكاء ،وقوة الفطرة، وتوقد القريحة تبدو عليه منذ صباه ، فتكلم اللغة العربية والأفغانية، وتلقى علوم الدين، والتاريخ، والمنطق، والفلسفة، والرياضيات، فاستوفى حظه من هذه العلوم، على أيدي أساتذة من أهل تلك البلاد على الطريقة المألوفة في الكتب الإسلامية المشهورة ، واستكمل الغاية من دروسه وهو بعد في الثامنة عشرة من عمره، ثم سافر إلى الهند وأقام بها سنة وبضعة أشهر يدرس العلوم الحديثة على الطريقة الأوروبية فنضج فكره، واتسعت مداركه، وكان بطبعه ميالا إلى الرحلات ، واستطلاع أحوال الأمم والجماعات ، فعرض له وهو في الهند أن يؤدي فريضة الحج، فاغتنم هذه الفرصة وقضي سنة ينتقل في البلاد، ويتعرف أحوالها وعادات أهلها ، حتى وافى مكة المكرمة في سنة **1857م/1273هـ** وأدى فريضة الحج [1].

بداية حياته العلمية :

عاد **جمال الدين الأفغاني** إلى بلاد الأفغان، وانتظم في خدمة الحكومة على عهد الأمير **دوست محمد خان** المتقدم ذكره وكان أول عمل له مرافقه إياه في حملة حربية جردها لفتح هراة ، احدى مدن الأفغان، وليس يخفي أن النشأة الحربية تعوّد صاحبها الشجاعة ، واقتحام المخاطر، ومن هذا تبدو صفة من الصفات العالية، التي امتاز بها **جمال الدين الأفغاني** ، وهي الشجاعة فإن من يخوض غمار القتال في بدء حياته تألق نفسه الجرأة والإقدام ، وخاصة إذا كان بفطرته شجاعا.

ففي نشأة **الأفغاني** الأولى ، وفي الدور الأول من حياته، نستطيع أن نتعرف أخلاقه، والعناصر التي تكونت منها شخصيته[2]، فقد نشأ كما رأينا من بيت مجيدازدان بالشرف واعتز بالإمارة والسيادة ، والحكم ، تربى في مهاد العز في كنف أبيه ورعايته، فكان للوراثة والنشأة الأولى أثرهما فيما طبع عليه من عزة النفس ، التي كانت من أخص صفاته ، ولازمته طول

[1] المرجع السابق ص:18.
[2] محمد حامد الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر الرياض ، الطبعة الثانية، سنة2001 ص:368.

حياته، وكان للحرب التي خاضها أثرها أيضا فيما اكتسبه من الأخلاق الحربية، فالوراثة والنشأة، والتربية، والمرحلة الأولى في الحياة العملية ترسم لنا جانبا من شخصية **جمال الدين الأفغاني**.

سار الأفغاني إذن في جيش **دوست محمد خان** لفتح "هراة"، ولازمه مدة الحصار إلى أن توفي الأمير، وفتحت المدينة بعد حصار طويل، وتقلد الإمارة من بعده ولي عهده **شير علي خان** سنة **1864م-1280هـ**.

ثم وقع الخلاف بين الأمير الجديد و إخوته ، إذ أراد أن يكيد لهم ويعتقلهم ، فانضم السيد **جمال الدين** إلى **محمد أعظم** أحد الإخوة الثلاثة، لما توسمه فيه من الخير واستعرت نار الحرب الداخلية ، فكانت الغلبة **لمحمد أعظم** ، وانتهت إليه إمارة الأفغان ، فعظمت منزلة **الأفغاني** عنده، وأحله محل الوزير الأول وكان يحسن تدبير الأمور للأمير، ولكن الحرب الداخلية ، ما لبثت أن تجددت إذ كان **شير علي** لا يفتأ يسعى لاسترجاع سلطته ، وكان الإنجليز يعضدونه بأموالهم ودسائسهم، فأيدوه ونصروه ليجعلوه من أوليائهم وصنائعهم وأغلق **شيرعلي** الأموال على الرؤساء الذين كانوا يناصرون الأمير **محمد أعظم** ، فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات كما يقول الشيخ **محمد عبده** وانتهت الحرب بهزيمة **محمد أعظم** وغلبه **شير علي** وخلص له الملك.

بقي **جمال الدين الأفغاني** في كابل ولم يمسسه الأمير بسوء إحتراما لعشيرته، وخوف انتفاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي، وهنا أيضا تبدو لنا مكانة **الأفغاني**، ومنزلته بين قومه، وهو بعد في المرحلة الأولى من حياته العامة[1] ، ويتجلى استعداده للاطلاع بعظائم المهام، والتطلع إلى جلائل الأعمال، فهو يناصر أميرا يتوسم فيه الخير، ويعمل على تثبيته في الإمارة ، ويشيد دولة يكون له فيها مقام الوزير الأول ، ثم لا تلبث أعاصير السياسة والدساتير الانجليزية أن تعصف بالعرش الذي أقامه ويغلب على أمر الأمير ويلوذ

[1] المرجع السابق ص:368-369.

بالفرار إلى إيران لكي لا يقع في قبضة عدوه ،ثم يموت بها، أما**الأفغاني** فيبقى في عاصمة الإمارة ، ولا يهاب بطش الأمير المنتصر، ولا يتملقه أو يسعى إلى نيل رضاه، ولا ينقلب على عقيبة كما يفعل الكثيرون من طلاب المنافع، بل بقي عظيما في محنته، ثابتا في هزيمته وتلك ظواهر عظمة النفس ورباطة الجأش وقوة الجنان،

وهذه المرحلة كان لها أثر في الاتجاه السياسي للسيد **جمال الدين** ، فقد رأيت ما بذلته السياسة الإنجليزية لتفريق الكلمة ، ودس الدسائس في بلاد الأفغان، وإشعال نار الفتن الداخلية بها، واصطناعها الأولياء من بين أمرائها، ولا مراء في أن هذه الأحداث قد كشفت للمترجم عن مطامع الإنجليز وأساليبهم في الدس والتفريق ، وغرست في فؤاده روح العداء للسياسية البريطانية خاصة ، والمطامع الإستعمارية الأوروبية عامة وقد لازمه هذا الكره طوال حياته ، وكان له مبدأ راسخ في أعماله وآرائه وحركاته السياسية[1].

رحيله إلى الهند :

لم ينفك الأمير **شير علي** يدير المكائد **للسيد جمال الدين** ، ويحتال للغدر به فرأى السيد أن يفارق بلاد الأفغان، ليجد جوا صالحا للعمل فاستأذنه في الحج، فأذن له فسار إلى الهند سنة **1869م-1285هـ** وكانت شهرته قد سبقته إلى تلك الديار لما عرف عنه العلم والحكمة، وما ناله من المنزلة العالية بين قومه، ولم يكن يخفى على الحكومة الإنجليزية عداءه لسياستها، وما يحدثه مجيئه إلى الهند من إثارة روح الهياج في النفوس خاصة لان الهند كانت لا تزال تضطرم بالفتن على الرغم من اخماد ثورة سنة **1857م**[2]، فلما وصل إلى التخوم الهندية تلقته الحكومة بالحفاوة والإكرام ولكنها لم تسمح له بطول الإقامة في بلادها، وجاء أهل العلم يهرعون إليه يقتبسون من نور علمه وحكمته، ويستمتعون إلى أحاديثه ، وما فيها من غذاء العقل والروح، والحث على الألفة وعزة النفس ، فنقمت الحكومة

[1] المرجع السابق ص:369-370.
[2] المرجع نفسه ص:370.

منه اتصاله بهم، ولم تأذن له بالإجتماع بالعلماء وغيرهم من مريديه وقصّاده إلا على عين من رجالها ، فلم يبق هناك طويلا، ثم أنزلته الحكومة إحدى سفنها فأقلته إلى السويس[1].

مجيئه لأول مرة من أوائل سنة 1870-1286 هـ :

ولم يكن يقصد طول الإقامة بها لأنه إنما جاء ووجهته الحجاز ، فلما سمع الناس بمقدمه حتى اتجهت إليه أنظار النابهين من أهل العلم وتردده هو على الأزهر واتصل به كثير من الطلبة فأنسوا فيه روحا تفيض معرفة وحكمة فأقبلوا عليه يتلقون بعض العلوم الرياضية والفلسفية والكلامية وقرأ لهم شرح " الأظهار" في البيت الذي نزل به بخان الخليلي وأقام بمصر ربعين يوما، ثم تحول عزمه عن الحجاز، وسافر إلى الأستانة [2].

سفره إلى الأستانة ثم رحيله عنها:

وصل **جمال الدين الأفغاني** إلى الأستانة ، فلقي من حكومة السلطان **عبد العزيز** حفاوة وإكراما، إذ عرف له الصدر الأعظم **علي باشا** مكانته ، وكان هذا الصدر من ساسة الترك الأفذاذ، العرفين بأقدار الرجال، فأقبل على يحفه بالاحترام والرعاية، ونزل من الأمراء والوزراء والعلماء منزلة عالية ،ورغبت الحكومة أن تستفيد من علمه وفضله ، فلم تمض ستة أشهر حتى جعلته عضوا في مجلس المعارف، فاضطلع بواجبه، وأشار بإصلاح مناهج التعليم، ولكن آراءه لم تقف تأييدا من زملائه ، ولم يكن على وفاق مع شيخ الإسلام **حسن فهمي أفندي** ، وفي رمضان سنة **1287 هـ**- ديسمبر **1970** رغب إليه مدير دار الفنون أن يلقى فيها خطابا للحث على الصناعات ، فاعتذر في بادئ الأمر بضعفه في اللغة التركية، فألح عليه ،فأنشأ خطابا طويلا كتبه قبل إلقائه وعرضه على نخبة من أصحاب المناصب العالية، فأقروه واستحسنوه...[3]

[1] المرجع السابق ص:370.
[2] المرجع نفسه ص:370-371.
[3] معلومات من الانترنت.

عودته إلى مصر وإقامته بها :

جاء **جمال الدين** إلى مصر في أول محرم **1288**هـ-مارس **1871** م لا على نية الإقامة بها، بل على قصد مشاهدة مناظرها ، واستطلاع أحوالها، ولكن **رياض باشا** وزير **إسماعيل** في ذلك الحين رغب إليه البقاء في مصر، وأجرت عليه الحكومة راتبا مقتدرا ألف قرش في كل شهر، لا في مقابل عمل، واهتدى إلى المترجم كثير من طلبة العلم، يشورون زنده ، ويقتبسون الحكمة من بحر علمه، فقرأ له الكتب في فنون الكلام، والحكمة النظرية، من طبيعة وعقلية ، وعلوم الفلك ،وأصول الفقه، بأسلوب طريف وطريقة مبتكرة، وكانت مدرسته بيته ، وكان أسلوبه في التدريس مخاطبة العقل وفتح أذهان تلامذته ومريديه إلى البحث والتفكير، وبث روح الحكمة والفلسفة في نفوسهم وتوجيه أذهانهم إلى الأدب، والإنشاء والخطابة وكتابة المقالات الأدبية والاجتماعية، والسياسية، فظهرت على يده نهضة في العلوم والأفكار أنتجت أطيب الثمرات .

وهنا موضع للتساؤل عما جعل الخديوي **إسماعيل** إلى استمالة **الأفغاني** للإقامة في مصر، وإكراه مثواه ، ويبدو هذا العمل غريبا لأن **لجمال الدين** ماضيا سياسيا ومجموعة أخلاق ومبادئ ولا ترغب فيه الملوك المستبدين، ولم يكن السيد من أهل التملق والدهان، فينال عطفهم ورعايتهم، ويجرون عليه الأرزاق بلا مقابل، ولكن الأمر لا يعسر فهمه إذا عرفنا أن في **إسماعيل** جانبا ممدوحا من صفاته الحسنة ، وهو حبه للعلم ورغبته في نشره ورعايته، وكانت شخصية **جمال الدين** العلمية ، وشهرته في الفلسفة أقوى ظهورا وخاصة في ذلك الحين من شخصيته السياسية فلا غروا أن يكرم فيه إسماعيل العالم المحقق الذي يفيض على مصر من بحر علمه وفضله[1].

[1] فضيلة عيساوي، الاصلاحات الفكرية لجماعة العروة الوثقى ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس ، قسم التاريخ، المدرسة العليا للأساتذة، معهد بوزريعة ، الجزائر، سنة 2008 ص:35.

وفي الحق أن **إسماعيل** لم يكن يقصر في اغتنام الفرصة لتنشيط النهضة العلمية ورعاية العلماء والأدباء، فترغيبه **جمال الدين** في البقاء بمصر يشبه أن يكون فتحا علميا، كتأسيس معهد من معاهد العلم العالية التي أنشأت على يده.

وفي هذا الجو هبط **جمال الدين** مبعدا من الأستانة فلم يفت ذكاء **إسماعيل** أن يغتنم الفرصة ليحمي في شخص الفيلسوف **الأفغاني**، ولا يخفى ما لهذا العمل من حسن الأثر وجميل الأحدوثة، إذ يرى الناس فيه أن مصر تأوي العلماء و الحكماء، حين تضيق عنهم "دار الخلافة" وأن عاهل مصر العظيم أحق من السلطان العثماني بالثناء والتقدير لأنه يفسح للعلم رحابه، ويوطئ له في وادي النيل أكتافه وقد يكون ل"**رياض الباشا**" يد في إكرام المترجم ، ولكن إذا علمنا أن وزراء **إسماعيل** لم يكونوا يصدون إلا عن رأيه وأمره ، أدركنا أن رياض باشا لم يكن الرجل الذي ينفرد بهذا الصنيع نحو المترجم ، ومهما يكن واقع الأمر فإن **رياض باشا** فضل المشاركة في عمل كان له الأثر البالغ في مصر العلمية والفكرية والسياسية[1].

أثره العلمي والأدبي:

أقام **جمال الدين** في مصر، وأخذ يبث تعاليمه في نفوس تلاميذه ، فظهرت على يده بيئة استضاءت بأنوار العلم والعرفان، وارتوت من ينابيع الأدب والحكمة، وتحررت عقولها من قيود الجمود والأوهام وبفضله خطا فن الكتابة والخطابة في مصر خطوات واسعة، ولم تقتصر دروسه ومجالسه على طلبة العلم، بل كان يؤمها كثير من العلماء والموظفين والأعيان وغيرهم ، وهو في كل أحاديثه لا "يسأم" كما يقول عنه **محمد عبده** من الكلام فيما ينير العقل أو يطهر العقيدة أو يذهب بالنفس إلى معالي الأمور،أو يستلفت الفكر إلى النظر في الشؤون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها[2] ، وكان طلبة العلم ينتقلون بما يكتبونه

[1] المرجع السابق ص:36.
[2] المرجع نفسه ص:36.

من تلك المعرف إلى بلدانهم أيام البطالة ، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم، فاستيقظت مشاعر وتنبهت عقول، وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصا في القاهرة[1].

وقال **محمد عبده** في موطن آخر يصف تطور الكتابة على يد الأفغاني : " كان أرباب القلم في الديار المصرية القادرون على الإجادة في مواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم إلا **عبد الله باشا وخيري باشا ومحمد باشا سيد أحمد** على ضعف فيه، و**مصطفى باشا وهبي** على اختصاص فيه، وماعدا هؤلاء فإما ساجعون في المراسلات الخاصة ، وإما مصنفون في بعض الفنون العربية أو الفقهية وما شاكلها، ومن عشر سنوات ترى كتبه في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم، وأغلبهم أحداث في السن شيوخ في الصناعة، وما منهم إلا من أخذ عنه أو عن أحد تلاميذه أوقاد المتصلين به.

فروح **جمال الدين** كان لها الأثر البالغ في نهضة العلوم والآداب في مصر، ولا يفوتنا القول بأن البيئة التي كانت متعددة للرقي، صالحة لغرس بذور النهضة فظهور ثمارها، أو بعبارة أخرى أن مصر بما فيها جامع الأزهر والمعاهد العلمية الحديثة ، والتقدم العلمي الذي ابتدأ منذ عهد "**محمد علي**" كانت على استعداد لتقبل دعوة الحكيم **الأفغاني**، ولولا هذا الاستعداد لقضي على هذه الدعوة في مهدها ولأخفق هو في مصر كما أخفق في الأستانة ، حيث وجد أبواب العمل موصدة أمامه[2].

وهذا يبين لنا جانبا من مكانة مصر وسبقها الأقطار الشرقية في التقدم العلمي والفكري والسياسي، ويزيد هذه الحقيقة وضوحا أنك إذا استعرضت حياة **جمال الدين** العامة، وما تركه من الأثر في مختلف الأقطار الشرقية التي بث فيها دعوته، وجدت أثره في مصر

[1] المرجع السابق ص:37.
[2] جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى ص:16.

أقوى وأعظم منه في أي بلد من البلدان الأخرى، وفي هذا ما يدلك على مبلغ استعداد مصر للنهضة والتقدم ، إذا تهيأت لها أسباب العمل ووجدت القادة والحكماء[1] .

أثره الأخلاقي و السياسي :

جاء **جمال الدين الأفغاني** إلى مصر يحمل بين جنبيه روحا كبيرة ، ونفسا قوية ، تزينها صفات وأخلاق عالية، أنبتتها الوراثة والتربية الأولى، وهذبتها الحكمة والمعرفة ومحصتها الحياة الحربية التي خاض غمارها في بلاد الأفغان والتجارب التي مارسها والشذائد التي عاناها جاء وفيه السّمم من الثبات ما جعله يتغلب على العقبات التي اعترضته في أدوار حياته، فقد رأيت كيف بقي على ولائه للأمير **محمد أعظم**، رغم ما أصابه من الهزيمة ولم يخضع لخصمه (**شير علي**) ورحل إلى الهند، فلم تطق السياسة الاستعمارية بقاءه فيها وأقصته عنها ، وذهب إلى الأستانة، فلم يعرف التملق والدهان، وجهر بالحق، واستهدف لعداوة شيخ الإسلام ،فلم ينكص على عقبيه ، وانتهى الخلاف بإقصائه عن الأستانة.

فهذه الأخلاق التي جاء بها **جمال الدين** كانت بلا مراء أقوى ما عرف عن المجتمع، وفي ذلك العهد من خفض الجناح والصبر على الضيم والخضوع للحكام وليس يخفى ما للشخصيات الكبيرة من سلطان أدبي على النفوس وما تؤثر فيها من طريق القدوة فالسيد **جمال الدين** بما اتصف به من الأخلاق العالية، أخذ يبث في النفوس روح العزة والشهامة ، ويحارب روح الذلة الأستانة ، فكان بنفسيته ودروسه وأحاديثه ومناهجه في الحياة ، مدرسة أخلاقية رفعت من مستوى النفوس في مصر، وكانت على الزمن من العوامل الفعالة للتحول الذي بدا على الأمة وانتقالها من حالة الخضوع والاستكانة إلى التطلع للحرية والتبرم بنظام الحكم القديم ومساوئه والسخط على تدخل الدولة في شؤون البلاد[2].

---

[1] المرجع السابق ص:22.
[2] المرجع نفسه ص:22 .

ويمكننا أن نحدد أواخر سنة **1875** م وأوائل سنة **1876** كمبدأ للتدخل الأوروبي إذ حدث من مظاهره وقتئذ شراء انجلترا أسهم مصر في القناة ثم قدوم بعثة المستر "**كيف**" الإنجليزية لفحص مالية مصر ثم توقف الحكومة عن أداء أقساط وما أعقب ذلك من إنشاء صندوق الدين ، فهذا التدخل كان من الأسباب الجوهرية التي حفزت النفوس على التبرم بنظام الحكم، والتخلص من مساوئه، ومن هنا جاءت النهضة الوطنية والسياسية ، وكان من مظاهر هذه النهضة نشاط الصحف السياسية وإقبال الناس عليها، وتحدثهم في شؤون البلاد العامة، وتبرهم مجالاتها السياسية والمالية ،وظهور روح المعارضة واليقظة في مجلس الشورى على يد النواب نفح فيهم جمال الدين من روحه[1].

عمله في فارس ثم نفيه منها :

ثم أخذ ينتقل بين باريس ولندن إلى أوائل فبراير سنة **1886** (جمادى الأولى سنة **1303هـ**) وفيه ذهب إلى الهند ثم إلى بلاد فارس ثم روسيا.

ولما كان معرض باريس سنة **1889**، رجع **جمال الدين** إليها وفي دعوته منها التقى بالشاه في ميونيخ فدعاه إلى صحبته إذ كان يرغب في الانتفاع بعمله وتجاربه، فأجاب الدعوة وسارمعه إلى فارس، وأقام في طهران فحفه علماء فارس وأمراؤها وأعيانها بالرعاية والإجلال.

استعان به الشاه على إصلاح أحوال المملكة، وسن لها القوانين الكفيلة بإصلاح شؤونها، ولكنه استهدف لسخط أصحاب النفوذ في الحكومة وخاصة الصدر الأعظم فوشوا به عند الشاه، وأسروا إليه الصدر الأعظم أن هذه القوانين تؤول إلى انتزاع السلطة من يده فأثرت الوشايات في نفس الشاه[2]، وبدأ يتنكر للسيد فاستأذنه في المسير إلى المقام المعروف بشاه **عبد العظيم** على بعد عشرين كيلو متر من طهران، فإذن له فوافاه به جم غفير من العلماء والوجهاء من أنصاره في دعوة الإصلاح فازدادت مكانته في البلاد وتخوف الشاه

[1] المرجع السابق ص:23.
[2] المرجع نفسه ص:23-24.

عاقبة ذلك على سلطانه فاعتزم الإساءة إليه ووجه إلى الشاه عبد العظيم خمسمائة فارس فقبضوا عليه وكان مريضا فانتزعوه من فراشه واعتقلوه وساقه خمسون منهم إلى حدود المملكة العثمانية منفيا فنزل بالبصرة فعظم ذلك على مريديه، واشتدت ثورة السخط على الشاه[1].

مرضه ووفاته:

توفي **جمال الدين الأفغاني** يوم الثلاثاء 09 مارس **1897** على الساعة 12:13 ، إثر أوجاع مضنية لمرض السرطان الذي أصابه في الفك الداخلي ، وعقب أرسل السلطان بعض موظفيه من القصر ليستحوذوا على أوراقه ومؤلفاته[2].

[1] المرجع السابق ص:23.
[2] جمال الدين الافغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى ص:28.

ثانيا: الشيخ محمد عبده:

- ولادته:

اختلف المؤرخون والكتاب في تحديد التاريخ الذي ولد فيه **محمد عبده** خير الله، والحق أن البعض الآخر من المؤرخين والباحثين الذين كتبوا عن حياته اتفقوا على تاريخ واحد وهو **1849** في قرية "**محلة نصر**" بمركز شبراخيت من أعمال مديرية "محافظة البحيرة" وقد نشأ **محمد عبده** كما ينشأ أطفال الريف عادة ، إلا أنه كان يختلف عنهم في بعض الجوانب لأن أبويه سهرا على رعايته واعتنيا بخلقه وصحته حيث أنه لم يترك كسائر أطفال قريته للأزقة والحارات والحقول طيلة النهار بل عني به والده عناية بالغة أتت أكلها فيما بعد ، ويبدو أن **محمدا** كان أحب إخوته إلى أبيه لوسامته ولمخايله المبكرة [1].

- تعلمه :

تلقى تعليمه الأولي للقراءة والكتابة ، وحفظ القرآن بالقرية وبدأ ذلك في السابعة من عمره، ثم ذهب إلى الجامع الأحمدي بطنطا ليحضر هناك دروس التجويد في سنة **1862**.

بدأ في سنة **1864** يتلقى دروسه الأزهرية في الجامع الأحمدي بعد أن استكمل تجويد القرآن ، ولكن أساليب التدريس العميقة قصدته عن قبول الدروس[2].

ففر هجران الدراسة بعد عام من شرعه فيها ، وعاد إلى القرية سنة **1865** وتزوج وعزم على العمل بالزارعة مع أبيه والانقطاع عن سلك التعليم ولكن والده رفض ذالك، وقرر إعادته إلى الجامع الأحمدي في نفس العام .

[1] عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وابن باديس نموذجا ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، المنطقة الصناعية عين مليلة، الجزائر، سنة 2004 ص:179.

[2] محمد عمارة ، الامام محمد عبده مجدد الاسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بناية برج الكارلون، بيروت، سنة 1981، طبعة أولى ص: 22-23.

وفي هذه الفترة التقى بالشيخ **درويش** خضر خال والده وهو صوفي كن على اتصال بالزاوية السنوسية ، فألقى إليه ببعض من حكمة التصوف وقاده إلى شيء من سلوك الصوفية فعادت إليه الرغبة في طلب العلم، وعاد إلى الجامع الأزهري سنة **1865**، وبدأ يفكر في الذهاب إلى القاهرة كي يلتحق بالجامع الأزهري، وتحت تأثير التصوف حدث ذلك صورته تلك الرغبة (في طلب العلم).

ذهب إلى الأزهر بمصر في فبراير سنة **1866** وكان بالأزهر حزبان شرعي، محافظ وحزب صوفي أقل في محافظته من الشرعيين، وحضر **محمد عبده** دروس كل من الحزبين ، فسمع من الحزب الشرعي المحافظ دروس المشايخ : **عليش والرفاعي والحيزاوي والطرابلسي والبحراوي** ولكنه انتمى إلى الحزب الصوفي كان رائده الشيخ **حسن رضوان** .

زار **الأفغاني** مصر للمرة الثانية وطاب له المقام بها في سنة **1871**فاتصل به **محمد عبده** ولازم مجلسه حيث انتقل به **الأفغاني** من التصوف والتمسك إلى الفلسفة الصوفية[1].

-شيوخــــه :

و في هذا الجو المظلم لاحت في نفسه ثلاث نجوم مضيئة وهي الشيخ **درويش** خضر والشيخ حسن الطويل والسيد **جمال الدين الأفغاني**[2].

أ-الشيخ درويش :

لقد كان **محمد عبده** يلتقي بمعلمه الأول الشيخ **درويش** في بلده أثناء الإجازة من نصف شعبان إلى نصف شوال كل عام ، فيكمل له ما بدأه معه في الدرس الأول في التصوف في حين يعرض عليه **محمد عبده** ما قرأه خلال العام الدراسي الأول في التصوف وما في نفسه من أزمات وعقد نفسية ، فيستفيد من ملاحظات شيخه الأول وبحثه على طلب

[1] المرجع السابق ص:25-26.
[2] عبد الكريم بوصفصاف ، الفكر العربي الحديث والمعاصر، محمد عبده وبن باديس نموذجا ص:203.

كل العلوم بدون استثناء حتى التي كانت محرمة في جامع الأزهر كالمنطق والفلسفة والرياضيات [1].

ب-حسن الطويل:

وجد الشيخ **عبده** أثناء إقامته في الأزهر ضالته المنشودة عند الشيخ **حسن الطويل** الذي كان متضلعا في العلوم الرياضية والهندسية ، حتى أن طلاب دار العلوم كانوا يلجأون إليه لحل ما أشكل عليهم من معضلات هندسية ، وما غمض عليهم من كتب الفلسفة القديمة، وعلم مصطلحاتهم.

وكان يدرس في الأزهر الفلسفة والمنطق ، فيحضر دروسه نخبة من الطلبة فيرمى هو وتلاميذه بالزندقة[2].

ج-جمال الدين الأفغاني:

إن **محمد عبده** بالرغم من شغفه بدروس **حسن الطويل** ، إلا أنها لم تكن تشبع شراهته في هذا العلم فاتصل **بجمال الدين الأفغاني** بعد حضوره إلى مصر **1871-1879** م فاتصل به ولازمه وبذلك اتسعت آفاقه وتفتحت له أبواب كانت مغلقة أمامه فطلب المعرفة من أوسع أبوابها ، وهكذا تمكن الشيخ **محمد عبده** بعد اتصاله بهذه العناصر الفكرية الثلاثة من التغلب على الوسط الأزهري المعتم الذي سادته روح الجمود وسيطرت عليه وبفضل ما تلقاه من أساتذه **جمال الدين** من هداية روحية أن يتحول نهائيا عن طريق الزهد وأن يقبل على توجيه الحياة العامة، وإقباله على دراسة العلوم الأخرى المختلفة كالكلام والسياسة والأخلاق وغيرها مما لم يكن له مكان في مناهج الأزهر[3].

---

[1] المرجع السابق ص:204.
[2] المرجع نفسه ص: 204.
[3] المرجع نفسه ص:206.

ومن هنا بدأت عقلية الطالب المجاور تتجه اتجاها جديدا حين احتك بأفكار أستاذة **الأفغاني** فبدأ يحرر المقالات وينشرها في الصحف حول موضوعات ثقافية عامة اتضح فيها شيء من الجهد المبذول للتحرر من بعض الأعراف الدينية، التي كان لها سلطان قوي في ذلك الحين.

ومن أهم الخدمات الجليلة التي قدمها **جمال الدين الأفغاني** لتلميذه **محمد عبده** في مجالي العلم والمعرفة أهمها :

أ-تأييده لرأي الشيخ **درويش** ورغبته في إنقاذه من الاستغراق في التصوف.

ب-ترغيبه في الإطلاع على ما في الكتب الحديثة التي عربت من مختلف اللغات الأجنبية، وقد وجد "**محمد عبده**" في هذه الكتب متعة لم يجدها في الكتب القديمة وكان ذلك بمثابة نافذة جديدة اطلع منها على عالم الفكر الغربي وما وصل إليه من علم حديث.

ج-فتح **جمال الدين لمحمد عبده** طريق الصحافة من جميع أبوابها فكان بذلك للعمل الصحافي أثر قوي ظاهر في حياة الأمة المصرية واستطاع **محمد عبده** بما أسداه له أستاذه أن يكون خطيبا بليغا قوي الحجة طليق اللسان بل استطاع أن يفوق أستاذه في هذا المضمار لخلو لهجته من العجمة التي لازمت **جمال الدين** طوال حياته.

وبهذا وجد **محمد عبده** عند أستاذه **جمال الدين** روحا جديدة لم تكن مألوفة عند شيوخ الأزهر، كما وجد عنده مذهبا فلسفيا واحدا ونظرة عميقة إلى الحياة وصورة منظمة عن الكون ولكن أهم شيء استفاد منه هو الميل إلى الحرية ويقظة الوعي ، وفي الوقت نفسه بدأ **محمد عبده** ينظر إلى الآفاق البعيدة فأخذ يهتك بالعلاقات السياسية بين الشرق والغرب ويفكر فيما ينبغي لبناء الحياة الإجتماعية والسياسية في العالم الإسلامي بناءا جديدا[1].

[1] المرجع السابق ص:206-207.

وإلى جانب ذلك بقي **محمد عبده** يواصل حضور الدروس التي يرغب فيها ، والاستماع الى الأساتذة اللذين يثق في مقدرتهم العلمية وكفاءتهم والاطلاع خارج الأزهر على العلوم التي لا يجدها فيه، ثم الجلوس إلى جمال الدين والأخذ عنه ، فلما كانت سنة **1877** تقدم لامتحان العالمية وتحصل عليها من الرجة الثانية رغم الصعوبات التي لقيها من شيوخ الأزهر الذين كانوا يكنون له الحقد والكراهية لاتصاله **بجمال الدين** ولدعوته إلى التجديد التي انتقد فيها علماء الأزهر أنفسهم.

وبالتالي لم يكن **جمال الدين** وحده عاملا أساسيا في تكوين شخصية **محمد عبده** العلمية والفكرية، وإنما كانت هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن تأثير السيد **جمال الدين** وأهمها :

- استعداداته الفطرية وذكاؤه المتميز وموهبته الخلاقة في استيعاب العلوم والمعارف العامة والخاصة.
- البيئة المصرية التي كانت تتجاذبها نزعتان : واحدة نحو التحديث والعصرنة، والأخرى نحو التقليد والمحافظة على التراث القديم، لاتخاذ موقف الحذر والحيطة من الثقافة الغربية الوافدة، وظهر **محمد عبده** بين النزعتين المتصارعتين كمثقف يريد الموازنة والتوفيق بينهما.
- أسفاره الكثيرة نحو الشرق والغرب واتصالاته الواسعة بعلماء وفلاسفة وكتاب وأدباء سياسيين ...إلخ، وقد ظل **عبده** يطلب العلم من كل جهة تصل إليها قدمه، فكان يقول حتى آخر حياته: "إنني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه في كل يوم"[1].

[1] المرجع السابق ص:210- 259-260.

آثار محمد عبده :

ترك الشيخ **محمد عبده** أثارا قيمة مكتوبة في شتى المجالات المعرفة الإنسانية والدينية في تفسير القرآن ، وشرح الحديث النبوي وفي اللغة العربية وآدابها وفنونها وقواعدها وفي تاريخ القديم والوسيط والحديث والمعاصر ، وفي السياسة وفي الفلسفة وعلم الكلام والتوحيد، وأبرز هذه الآثار الفكرية هي:

- رسالة الوردات في سر التجليات كتبها سنة **1872 م**، وهي باكورة أثاره الفكرية التي حفظت لنا في تراثه ولم تنتشر إلا بعد وفاته.
- مقالاته في جريدة الأهرام في سنتها الأولى سنة **1876م**، وكان لا يزال يلتزم السجع في أسلوبه وسنه آنذاك كانت 27 عاما .
- كتاب علم الاجتماع والعمران ، ألفه طلاب العلوم سنة **1878م**
- أهم بعض المقالات التي نشرت في جريدة الوقائع المصرية وهي :
  - ✓ عبد مطلع ومطلع سعادتها.
  - ✓ حاجة الإنسان إلى الزواج.
  - ✓ حكم الشريعة في تعدد الزوجات
  - ✓ حكومتناو الجمعيات الخيرية
  - ✓ حب الفقر أو سفه الفلاح...الخ.
- جريدة العروة الوثقى [1].

[1] المرجع السابق ص:259-260.

أهم أعماله في الفترة الأخيرة :

- رسالة التوحيد الإسلام والنصرانية بين العلم والدينية التي رد بها على **فرح انطوان 1902** ترجمه لكتاب التربية **لهاربيرت سبنسير** عن الفرنسية.
- وصيته التربوية التي أملاها بالفرنسية في مرضه الأخير على **ألكونت دي جريفر** فنشرها في كتابه مصر الحديثة.

-وهناك أثار أخرى غير مكتوبة منها:

- الجمعية الخيرية التي أنشأها سنة **1892 م**
- الجمعية السرية الدينية التي أسسها بيروت خلال مرحلة النفي من أهدافها التقريب بين الأديان السماوية الكبرى[1].

وفاته :

في الساعة الخامسة من مساء يوم 11 يوليو سنة **1905م**/07 جمادى الأولى سنة**1323هـ** توفي الأستاذ الإمام **محمد عبده** بالإسكندرية عن عمر يناهز سبع وخمسين عاما ، عن حياة فكرية خصبة وجهود في التربية والإصلاح ...ومواقف تجسد عظمة الإنسان المصري وكبريائه، ولا يمكن أن تموت فلقد كان عقلا من أكبر عقول الشرق والعروبة والإسلام في عصرنا الحديث[2].

[1] المرجع السابق ص:261-262.
[2] محمد عمامرة ، الإمام محمد عبده مجدد الإسلام ص:45.

منهج محمد عبده في الإصلاح :

الإصلاح ليس ريحا تهب ، فتمسح الأرض من الشرق في وقت قريب فانتظر.

يعد المنهج من أهم الوسائل التي يستخدمها المصلح في حركته التجديدية ومفهوم المنهج له تاريخ ، فالمنهج الذي كان يستخدمه "**البصري**" ليس هو المنهج الذي يستخدمه "**ابن خلدون** " وليس هو نفسه الذي استخدمه "**محمد عبده**".

فمنهج **محمد عبده** في الإصلاح إذن نبع أساسا من البيئة المصرية خاصة، ومن المجتمع الإسلامي بصورة عامة ، فلم يكن يعرف مثلا املنهج التاريخي الوضعي، الذي كان يسود أوروبا في القرن التاسع عشر ، كما لم يكن يعرف العقل" **الفلولوجي** "منهجية فقه اللغة" ، الذي استخدمه "**ارنست رينان**" عندما دخل معه في المجادلة والمناظرة ،لأن **محمد عبده** لم يكن قد اطلع على منهج العقل الفولولوجي وآليته وأدواته وأساليب عمله، وبالتالي لم يكن قادرا على أن يدخل معه في مناظرة فكرية على المستوى نفسه ، كما أن "رينان " ذاته كان يجهل جزء الخيال أو المتخيل الديني كان مألوفا لدى **محمد عبده** عندما كان يتحدث عن الإسلام[1].

ويرى "**تشالز أدامس**" أن طرائف **عبده** ليت موضوعية علمية بالقدر الكافي فلم تسلم النتائج التي توصل إليها من أوجه النقد المختلفة وهو نفسه لم يحاول ولو مرة واحدة نقد المعرفة نقدا متين ، ولا نجد عنده العلم الخالي من النقائص وأنه كان مجبرا على مغالبة البيئة المصرية التي عاش وتأثر فيها وتخلفها الشديد يظهر عمله في ضوء أشد توهجا يجعلنا نتغاضى عن كثير من هناته.

[1] عبد الكريم بوصفصاف ، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وابن باديس نموذجا ص:295-296.

إن الخصائص التي تميزها بها منهج **محمد عبده** في الإصلاح، نجد ملامحها واضحة أيضا في منهج **ابن باديس**، لا سيما فيما يتصل بالأخذ من علوم الغرب وفلسفته ولغاته ، فقد وجه **ابن باديس** دعوته أكثر من مرة لكل المثقفين الجزائريين، وخاصة تلاميذه لتعلم اللغات الأجنبية والاستفادة من علوم أوروبا ، باعتبار أن هذه العلوم هي ارث إنساني أخذ عن العرب أيضا في عصر نهضتهم العلمية.

أما إذا أردنا أن نصف موقع الشيخ **محمد عبده** بين مواقف المفكرين والمصلحين المسلمين يمكن تأكيد رأي الأستاذ **محمد عمارة** القائل : الرجل كان صاحب (سلفية عقلية) تميزها عن مواقف (السلفيين) الذين اكتفوا بالموقف (السلفي) وعن (العقلانيين) الذين انطلقوا من منطلق العقل فقط لا غير.

وهكذا فإن منهج **محمد عبده** كان يهدف إلى النهوض بالمسلمين عن طريق الربط بين الينابيع الإسلامية الصافية ، وبين ثمار الحضارة الحديثة التي انتجها الغرب في القرون الأخيرة ، إلا أن عقد مقارنة بسيطة بين المصلح المصري والمصلح الجزائري تظهر لنا أن الأول لا يذكر صراحة المصادر (غير الكتاب والسنة) التي استلهم منها منهجه في الإصلاح والتجديد، بل فإنه ينفي ذلك نفيا مطلقا ، لاسيما في تفسير القرآن وإن كنا نقف على بعض ملامح تأثره **بابن رشد** في الفلسفة الإلهية **وابن خلدون** في منهجه الاجتماعي[1].

[1] المرجع السابق ص:296-297-299.

مجالات الإصلاح عند جماعة العروة الوثقى:

وتتمثل أهم المجالات التي عملت فيها هذه الجماعة هي:

النهضة الفكرية عند الشيخ محمد عبده :

إن الأعمال الإصلاحية عند **عبده** سارت في اتجاهين: اتجاه يحافظ على التراث العربي الإسلامي، واتجاه ينزع نحو الإستفادة من ثمار الحضارة الغربية، وكان يرى أن ارتقاء المعارف هو سبب رقي الأمم فهو يطلب منا أن ننظر في أحوال جيراننا من الملل والدول، وكيف انتقلوا من وضعهم الأول إلى أن صاروا أغنياء أقوياء، حتى كادوا يتسلطوا علينا بأموالهم ورجالهم، إن لم تقل قد تسلطوا بالفعل، فإذا حققنا السبب، وجب علينا أن نسارع إليه حتى نتدارك ما فات ونستعد لخير فيما هو آت وها نحن بعد النظر، لا نجد سببا لتفوقهم في الثروة والقوة إلا في ارتقاء المعارف والعلوم فيما بينهم ، حتى قادتهم إلى إرشادهم فتنوروا خيراتهم فاكتسبوها، ومضراتهم فنكبوا عنها وتركوها، فإذن أول واجب علينا هو السعي بكل جد واجتهاد في نشر هذه العلوم في أوطاننا ، وعندما بدأ **محمد عبده** يدخل بفكره في القضايا العامة خلال السبعينيات من القرن التاسع عشر، كانت مصر قد بلغت على غرار الدولة العثمانية جيلها الثاني من التغيير .

ورغم أن **عبده** كان معجبا بالمؤسسات الغربية ، وما يمكن أن تدخله من إصلاحات إجتماعية وإدارية واقتصادية ، فإنه كان يرى أن تطبيق هذه الأنماط الغربية في المجتمع المصري أمرا مستحيلا، وبالعكس يمكن تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع المصري الحديث ،لأن القوانين المطبقة في بلد غير بلدها الأصلي، لا يمكنها أن تأتي الثمار المرجوة منها بل فربما تفسده ، ذلك أن القوانين المستوردة من أوروبا ذلك الوقت ليست على الإطلاق قوانين حقيقية لأنه لا أحد يفهمها أو يخضع لها.[1]

[1] المرجع السابق ص326-328.

إصلاح الدين:

إن الإسلام كما فهمه **محمد عبده** ، هو مبدأ ردع من شأنه أن يمكن المسلمين من التمييز بين الصالح والطالح ، وبين مختلف وجوه التغيير الحاصل، لذلك كانت المهمة التي اضطلع بها ذات شقين : أولهما إعادة تحديد ماهية الإسلام الحقيقي، ثانيها :النظر في مقتضياته بالنسبة إلى المجتمع الحديث.

ولقد كان الهدف الأول هو الأهم، بل فقد اعتبره أسمى أهدافه في الحياة كلها وقد حدد هذين الهدفين في مطلع سيرة حياته فيقول: "ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمتين: الأول تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معرفه إلى ينابيعها الأولى واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله من شططه وتقلل من خلطه وخبطه...وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم باعثا على البحث في أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل"[1].

ولقد ركز **محمد عبده** يهودي في الإصلاح الديني على الأزهر، وكان يرى أنه إذا تم إصلاحه، فإنه سيقدم للعالم الإسلامي خدمة جليلة ،لأنه سيخرج شباب غيورين على الدين ، متنورين في جميع أنحاء العالم الإسلامي فيحملون مثل رسالته ويقومون ببث دعوته ، وكان يعمل على إصلاح الإدارة والتعليم فيه وتوسيع مناهجه حتى تشمل بعض العلوم الحديثة وتقوي وجوه الشبه بينه وبين غيره من الجامعات الأوروبية وفوق هذا وذاك ، فقد كان يود أن يجعل الإسلام طابعا جديدا وأن يصلحه داخل حدود الأزهر نفسه وهو منارة العلوم الدينية ومركزها القوي وقد اعتمد في تحقيق هذا الغرض على **الخديوي** وعلى الإنجليز وعلى منصبه وجاهه وأصدقائه.

[1] المرجع السابق ص:332.

وقد عبر الشيخ **عبده** عن مشاعره الإصلاحية في الأزهر منذ أن بدأ يدرس فيه شاكيا غياب أساتذة مصلحين يؤازرونه في مشروعه النهضوي، ومتسائلا عما إذا كان سينجح في هذه المهمة الكبرى .

ومن أهم الوسائل التي اتخذها في إصلاح العقيدة هي تفسير القرآن الذي انشغل به لاسيما في أواخر حياته، حيث كان يرى أن إصلاح المسلمين عن طريق دينهم أيسر وأصح من إصلاحهم عن طريق الإصلاح المبني على مجرد العقل ومقياس المنفعة والتقيلد الأوروبي وهذا الطريق هو الذي سلكه معظم المصلحين المسلمين المجددين، ويقول **محمد عبده** في هذا السياق: إن الغرض الذي يرمي إليه جميعهم، إنما هو تصحيح الاعتقاد، وإزالة ما طرأ عليه من الخطأ في فهم نصوص الدين، حتى إذا سلمت العقائد من البدع التي تبعها سلامة الأفعال من الضلال والاضطراب واستقامت أحوال الأفراد واستضاءت بصائرهم بالعلوم الحقيقية الدينية والدنيوية، وتهذيب أخلاقهم بالملكات السليمة ، وعلى هذا الأساس من التفكير أراد أن يسيطر على برنامج التعليم في المدارس حتى يتمكن من إصلاح النفوس، من هذا الطريق بالتوسيع في تحليل التاريخ الإسلامي وتركيبه ونشر مبادئ الدين الصحيح ولذا كان ينتظر كل فرصة لتقديم تقرير على التعليم وقد برز عمله في هذا الميدان منذ أن كان على رأس جريدة الوقائع المصرية سنة **1880**م، قبل الثورة العرابية حتى شكل مجلس التعليم الأعلى بناء على سعيه، وظهر هو فيه عضوا لامعا، وبعد نفيه إلى بيروت واصل مهمته في هذا المجال ، فكتب تقريرا في إصلاح التعليم ، رفعه إلى الشيخ الإسلام في الأستانة لإصلاح التعليم في المملكة العثمانية ، ولائحة أخرى في طريقة إصلاح التعليم في سوريا ولائحة أخرى في تعليم الديني في مصر بل ولم يتحرج في أن يرفع تقريرا في هذا الأمر إلى **اللورد كريم** عميد السياسة الانجليزية في مصر وهكذا كان يريد أن يتحكم في التعليم ليوجهه الوجهة التي يريدها وهي إصلاح اللغة العربية وأساليبها[1] .

[1] المرجع السابق ص:339-340.

إصلاح اللغة وأساليبها:

كانت المسألة الثالثة التي اهتم بها **عبده** ، وأكد عليها وعمل من أجلها، واعتبرها من أهم أعماله، وهي إصلاح اللغة العربية وأساليبها التي يقول عنها: "والأمر الثالث إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير، سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومصالحها أو في المراسلات بين الناس أو فيما تنشره الجرائد منشأ أو مترجما.

هذا في الوقت الذي كانت فيه الكتابة لا ترقى إلى مستوى النهضة الحديثة في مصر أو في غيرها من الوطن العربي، وقد بدأ **محمد عبده** في إصلاح لسان الأمة، وآدابها بنفسه ، حيث أخذ يكتب في جريدة الأهرام المصرية بأسلوب متأثر بالكتب الأزهرية، وبلغة الفلسفة الإسلامية، وبما هو شائع في ذلك العصر من السجع والازدواج ، وبمقدمات قديمة قبل الدخول في صميم الموضوع، ثم اخذ أسلوبه يقوي ويتطور، ويزداد قوة وحركة من روح أستاذه **جمال الدين** كما تجلى في مقالات العروة الوثقى [1].

إصلاح التربية والتعليم:

أما المسألة الرابعة في إصلاح **محمد عبده** فقد تمحورت حول التربية والتعليم ، وقد جعلها أساس لتطور البلاد وازدهارها: "فمن يريد خير البلاد فلا يسعى إلا في إتقان التربية ، وبعد ذلك يأتي له جميع ما طلبه[2]".

لقد كان للشيخ **محمد عبده** فلسفة وآراء متطورة في ميدان التربية والتعليم لكن تعليمه لا يقصد به التعليم المدني البعيد عن التعليم الديني حيث أكد على أن يكون الدين هو أساس التعليم ، وقد قال في هذا السياق: "العلم المحي للنفوس هو علم أدب النفس، وكل أدب لها فهو في الدين ، فما فقدانه هو التبحر في آداب الدين، وما نحس من أنفسنا طلبه هو التفقه في الدين... وإننا في تحصيل هذا العلم الحيوي لا نحتاج إلى الاستفادة من البعداء عنا ، بل

[1] المرجع السابق ص:340-341.
[2] المرجع نفسه ص:342-343.

يكفنا فيه الرجوع لما تركنا، وتخليص ما خلطنا ، فهذه كتبنا الدينية والأدبية حاوية لما فوق الكفاية ما نطلب، وليس في كتب غيرنا ما يزيد عنها إلا بما حاجة بنا إليه".

ومن جهة أخرى فإن الشيخ **محمد عبده** قسم النظام التعليمي إلى مراحل وقسم المستهدفين بهذا التعليم إلى فئات ثلاثة : فئة العامة ، فئة الساسة ، وفئة العلماء، وقد أكد على ضرورة الاهتمام بالفئة الثالثة، باعتبارها تشكل الطبقة القيادية للأمة.

إن الشيخ **عبده** كان يعتقد أن الأولوية في كل شيء ينبغي أن تعطي للتربية والتعليم، وبل يمكن التغاضي حتى عن وجود مفاسد إجتماعية وإقتصادية وسياسية من أجل تأسيس العملية التربوية، والسير نحو المستقبل لأنه إذا انتشرت التربية والتعليم يمكن للمجتمع أن يستأصل جذور كل المفاسد والإنحرافات مهما كان نوعها، وبهذا الصدد يقول : "لو أن السيد **جمال الدين الأفغاني** تقرب من السلطان بقدر يمكنه من حمله على إصلاح التربية والتعليم، من غير تعرض لفساد حاشيته، ولا تدخل في شؤونهم ، بل مع مساعدتهم على أغراضهم الخسيسة لكان حسنا، ولقدر أن ينفذ مآربه... مثلا يحسن السعي بإعطاء "**أبي الهدى** " خمسمائة جنيه وإعطاء **نيشان** لابنه وأخيه، فإذا رآه **أبو الهدى** يخدمه فيما هو مهم عنده فأما أن يواتيه وإما لا يناويه وهلم ما جرى ولكنه تدخل في شؤون هؤلاء فاسدي الطباع والأخلاق وإصلاحهم من المستحيلات فأخفق مسعاه".

ولعل هذه النظرة المثالية إلى التربية يلتقي في فكر الرجل بأمثلة عديدة لقضايا معقدة ، وذلك قبل تغيير نظم الأمة السياسية والإجتماعية واستبدال الأنظمة الفردية للحكم بالشورى والدستور النيابي منها مع أن الطريق السياسي الوحيد السليم الذي يراه معظم الباحثين، هو أن تبدأ الأمة بإيجاد المناخ السياسي والإجتماعي إلي يتيح لها التربية والتثقيف والتهذيب[1].

[1] المرجع السابق ص:344-348-349.

الإصلاح السياسي:

لقد كان عمله في الميدان واضحا من خلال عضويته ونشاطه في مجلس الشورى وقد قال أحد أصدقائه "**حسن عاصم** " وهو زميل له في المجلس : " لقد عين الشيخ **محمد عبده** سنة **1899م**، وكان بين أهل الحل والعقد في الحكومة وبين رجال مجلس الشورى شيء أشبه بالخلاف في الرأي ، أدى إلى أن الحكومة نفذت كثيرا من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للأمة في عدم العمل بها ، وصرفت النظر عن كل أوجه التعديل في المشروعات التي كان يرى أن الصلاح والنفع للأمة في تعديلها".

لقد عاش الشيخ **محمد عبده** كل أحداث عصره، وشاهد المظالم التي كانت تنهال على المصلحين والوطنيين عل حد سواء، ورأى بعين السياسي الخبير، سياسة المكر والخداع التي تتبعها بريطانيا في مستعمراتها وخاصة في بلدان المشرق العربي ، فحركت هذه الدوافع في نفسه مشاعر الإصلاح والتغيير ، فراح يهاجم الرجعيين والسياسيين المحترفين، والمحتلين وعملائهم، فكان يبدي رأيه بكل شجاعة ، كما بين رأيه في كثير من مشكلات عصره، فناصر النظام النيابي في البداية ثم بعد أن اتضح له جهل الشعب ومساوئ الحكومات من جراء العقليات المتحجرة إثر احتلال بريطانيا لمصر ، فكر في وضع اللبنة الأساسية للإصلاح فدعا إلى حماية الأخلاق وإلى الأخذ [1]بالتربية القومية ، قصد إعداد جيل قادر على حمل مشعل النضال وقيادة الأمة نحو الكرامة والحرية والسؤدد.

لقد كان **عبده** يرى أن أساس كل عمل يراد له النجاح ،لابد أن يكون مبنيا على التعاون والمشورة والوفاق، ولذلك رأيناه يدعو إلى أن تكون "التربية الجديدة " مبنية على الإيثار والاتحاد حول الأهداف المرجوة منه

[1] المرجع السابق ص:358-361.

الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي:

كانت كتابات **عبده وابن باديس** تتمحور في جلها حول الإصلاح الديني والأخلاقي والتربوي والثقافي والسياسي ، وقليلا ما تتناول القضايا الاقتصادية الخالصة ، ولعل هذا يرجع في المقام الأول إلى أوضاع البلدين اللذين كانا يرحران تحت السيطرة الاستعمارية ، إلا أن الباحث في الميدان الفكري للرجلين ، يقف على موضوعات واضحة تتناول المسائل الإجتماعية والإقتصادية في المجتمع ، ولكنها ليست في مستوى الإهتمامات الأخرى من الناحية الكمية.

لقد كان **محمد عبده** يقر بالانقسام الاجتماعي، ولكنه يرفض أن يكون هذا الانقسام سنة ثابتة في الخلق ، وإنما يرجع إلى الأسباب مادية وبشرية ، وقد سجل **محمد عبده** بعض النظرات الاجتماعية العامة حول طبقات المجتمع وهذه أهم القضايا الاجتماعية التي عالجها الرحل خلال ثلاث عقود من الزمن وهي:

- إيمانه بالتكافل بين أفراد الأمة أو ضرورة الجماعية لحياة الإنسان .
- اعتباره أن الظلم الاقتصادي هو أشد أنواع الظلم الذي يقع على الإنسان من أخيه الإنسان.
- تنبيهه إلى المخاطر التي تحدق بالمجتمعات من جراء تحكم سلطان رأس المال فيها.
- تحديده لما يجب على الأغنياء في مجال الإنفاق العام، ونظرته لطبيعة الملكية وموقفه من الاشتراكية وعلاقتها بالإسلام[1].

[1] محمد عمارة ، الإمام محمد عبده مجدد الإسلام ص:158-159-160.

هذه جملة التصورات والمواقف التي وقفها **محمد عبده** من السلبيات التي يجب القضاء عليها والإيجابيات التي يجب العمل على ترسيخها وتكريسها في حياة المجتمع.

وتناول محمد عبده ضرورة تقوية الروح الجماعية في الأمة مع إضعاف الفردية أو الانفصالية وطريق ذلك في نظره إلى تربية الحقة والتربية الحقة عنده هي التي تقوم على رعاية التعاليم الإسلامية فيقول: "إن التغالب في هذه الأوقات أصبح معظمه إن لم أقل جميعه تغالب الأفكار والآراء، فالأمة ذات البساطة في الأفكار والمهارة في المعارف هي الأقوى سلطانا والأقوم سياسة وهي الغالبة على سواها من الأمة [1].

وجملة القول أن نظرات **محمد عبده** في المجتمع والاقتصاد تتلخص في النقاط التالية:

1-أنه قد وقف بجانب اللذين رأوا في الأموال نفقات واجبة أكثر من الزكاة.

2- أن هذا الإنفاق الواجب وهو غير الزكاة وغير النفقات الخاصة والعائلية وغير النفقات الجود وكم ولا يحدد بمقدار معين إنما يجعل الإنفاق مطلقا في خدمة المصالح العامة للمجتمع.

3-أن انحياز الإسلام إلى صف فلسفة تكافل الأمة إنما يعني اعتماد فلسفة الإسلام المالية على موقف غير منحاز على الملكية الفردية.

4-أن الشيخ **محمد عبده** كان مؤمنا بضرورة التوزيع العادل للثروة القومية على الأغلبية الساحقة من أفراد الأمة[2].

[1] المرجع السابق ص159-160.
[2] عبد الكريم بو صفصاف ، الفكر العربي الحديث المعاصر محمد عبده وابن باديس نموذجا ص:376-377.

وهكذا يمكن القول أن **عبده** قد كوّن فكره الاجتماعي والإقتصادي من الاطلاع على النظم الإسلامية في الأموال كالزكاة والخراج والفيء والمساكين بالقسطاس، كما استفاد من الفكر الأوروبي الداعي إلى هذا اللون من الحياة الإقتصادية والإجتماعية من خلال رحلاته إلى الغرب ومطالعته لكتب بعض الفلاسفة والمفكرين الأوروبيين، ويمكن لأي باحث في أثار الشيخ **عبده** أن يستنتج هذه الحقائق، لاسيما وان هذه الأفكار قوية التنبيه والإثارة ، لأنها سبقت تطبيق لنظام الاشتراكي في العالم ، وإن كانت متزامنة مع أفكار ونظريات ظهرت في أوروبا منذ الثورة الفرنسية حتى تم تطبيقها في الاتحاد السوفياتي سنة **1917م**[1].

إصلاح القضاء في المحاكم المصرية:

أما الآن فيجدر بنا أن نتطرق إلى موضوع هام سجل في ميراث **عبده** الفكري والعملي، دون أن نجد له أي أثر في تراث **ابن باديس** العملي والفكري .

بعد أن عاد **محمد عبده** إلى مصر سنة **1888** كان أمله كبيرا في العودة إلى تلك المهنة المحببة إلى نفسه منذ أن كان في الأزهر قبل نفيه إلى بيروت سنة **1882**، وهي مهنة التعليم ولكن **الخديوي توفيق** عينه عقب عودته مباشرة قاضيا في المحاكم الأهلية الإبتدائية ثم في محكمة نبها، ثم بمحكمة الزقايق، ثم بمحكمة عابدين بالقاهرة، ثم عيّن مستشارا في محكمة الاستئناف عام **1890م**.

وإذا أردنا أن نتتبع أعمال **محمد عبده** في هذه المرحلة من حياته وجدناها كلها تتجه نحو الإصلاح، ورفع مستوى القضاء والقضاة في أعين الناس ومدركاتهم، فلم يكن الشيخ في جلساته شديد التقيد بنصوص القانون وأحكامه، ولكنه كثيرا ما كان يصدر الحكم في القضايا بما يراه وما يدركه بعقله أثناء التحكيم[2].

[1] المرجع السابق ص:377-378.
[2] المرجع نفسه ص:378-379.

وقد شمل إصلاحه كامل وجوه القضاء الشرعي بمحاكمه وقضاته وعماله ومحاميه والعلاقة بين هؤلاء جميعا وبين المتقاضين والعدالة في آن واحد، وبذلك أخذت العدالة مجراها وارتقى النظام فيها إلى أعلى المراتب ، وأصبح اسم الشيخ **محمد عبده** نارا على علم بين كافة المواطنين وإطارات الدولة وحتى لدى المؤسسات الانجليزية الاستعمارية في البلاد[1].

[1] المرجع السابق ص:379.

الفصل الثالث

أوجه الشبه والإختلاف بين المنهج الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجماعةالعروة الوثقى:

سبقنا الإشارة في الفصلين السابقين أن حركة ا **بن باديس** كانت لها علاقة وثيقة مع الحركات الشرقية، و خاصة حركة السيد **جمال الدين الأفغاني** و الشيخ **محمد عبده** و أكدنا أن **ابن باديس** ركز في أعماله و منهجه على السلفية و بنى عليها المبادئ في إصلاحه الديني و الإجتماعي[1].

ولقد أدى البحث و التنقيب و التحليل و المقارنة بين هذين المصلحين، إلى أن كليهما انطلقا من الإنحطاط الداخلي، الذي أصاب الأمة سواء لأسباب داخلية أو لعوامل خارجية، و هما في ذلك يشبهان الكثير من قادة العالم الذين غيروا مجرى التاريخ، و نقلوا شعوبهم من مرحلة أدنى إلى مرحلة أعلى، **فمحمد عبده** عندما ظهر، كان المجتمع المصري يعاني من وطأة الديون الخارجية و من فساد الحكام، ومن جمود المؤسسات الدينية والثقافية، فبدأ ينظر بعين نحو الداخل و أخرى نحو الخارج.

أما **ابن باديس** لما برز في الساحة الجزائرية[2]، كانت البلاد ترزح تحت وطأة أبشع نظام إستعماري عرفته البشرية في ذلك الوقت، و من ثم فإن فكر الرجلين بالرغم من

---

[1] محمد طهاري، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ص:53.

[2] عبد الكريم ابوالصفصاف، تاريخ المصريين وأبعادها الثقافية و السياسية ، الجزء الثاني1849-1940، تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ص:469-470.

أصالته المرجعية، فإنه كان من نتائج ردود فعلهما على الغزو الأجنبي و التخلف الداخلي معا.

و من المؤكد أن فكر المصلح المصري قد بدأت ملامحه تتضح و تتبلور في مرحلته الطالبية أي قبل الإحتلال الإنجليزي لمصر بحوالي عقد من الزمن، و مع ذلك كله، فإن جل أفكاره التي تحتوي على معرفة نقدية للتراث من ناحية، و لواقع المسلمين من ناحية أخرى قد إكتملت و نضجت في العهد الإستعماري.

أما **ابن باديس** فإن نشأته في أسرة قسنطينية تشترك مع الفرنسيين المحتلين في تسيير شؤون البلاد، كان من الممكن أن يوجه فكره وجهة غربية لا شرقية، و لكن تمسك والده بالقيم العربية و التقاليد الإسلامية الجزائرية، جعله يوجه ابنه البكر توجها يختلف عن توجهات جيله من أبناء العائلات الكبيرة المعجبة بالحضارة الفرنسية.

و من هنا فإن فكر المصلح الجزائري يمكن إعتباره متولدا بالدرجة الأولى عن العصبية الثقافية التي وقفت في وجه الغرب مدة قرن و ثلث القرن أثناء اجتياحه البلدان الشمال الإفريقي في حين أن فكر **عبده** هو استمرار لفكر النخبة المصرية المثقفة مع شيء من التجديد كنتيجة حتمية لتأثره بالحضارة الغربية[1].

أما ثقافة الرجلين فإنها كانت ثقافة عربية إسلامية متطورة، فهما بالرغم من تمسكهما بالينابيع الأولى للإسلام و الأخذ بالميراث التقليدي للمسلمين عبر التاريخ فإنهما إستطاعا أن يوجدا ثقافة عربية راقية لغة وأسلوبا و فكرا، تجاوزا فيها بعض ثقافة علماء العصور

[1] المرجع السابق ص:470-471.

الإسلامية السابقة و مصنفاتهم المعقدة أحيانا والجافة أحيانا أخرى لغة و أسلوبا، و قدموا لأجيال عصرهما، بل عصرنا أيضا نصوصا سهلة التناول شائقة الأسلوب حلوة العبارة، سواء في النصوص الدينية أو الإجتماعية أو في النصوص السياسية أو حتى الفكرية الفلسفية مما جعل قراءتها و فهمها و إستيعابها ميسرا للجميع، و في الوقت ذاته نقلا إلى قراء العربية دراسات علمية و تربوية أدبية من الثقافة الغربية مطبوعة بالطابع العربي القومي، لاسيما الشيخ **محمد عبده** الذي قرأ الكثير من المؤلفات لكتاب إنجليز و فرنسيين وروس.

أما **ابن باديس** في الجزائر فقد اتخذ من صحيفته «**الشهاب**» منبرا لنشر الآراء والأفكار العالمية العربية منها و الغربية، بل فقد كان ينشر مقالات كاملة مترجمة عن الصحف و الكتب الفرنسية إلى قراء العربية.

و بذلك أسهما المصلحان في إثراء الثقافة العربية و معارفها المختلفة، فكان ما نقلاه إلى المجتمعين المصري و الجزائري من ثقافة الغرب بمضامين متنوعة أكثر و أثمن مما نقلته النخبة المفرنسة في الجزائر مثلا إلى مواطنيها، لأنها كانت تجهل لغتهم و تنبذ عاداتهم و تقاليدهم المحلية، و اقتصرت على تكريس بعض القيم الأجنبية، التي كان المجتمع الجزائري أو المصري في غنى عنها[1].

أما نوعية ثقافة الرجلين و مدى استفادة المجتمع منها فيمكن القول إنطلاقا من هذه الدراسة، و من سلوك الأجيال التي تكونت في بوتقة ما نسميه بالمدرسة **العبدوية** و المدرسة

[1] المرجع السابق ص:471-472.

الباديسية، هو تكوين الروح الوطنية في الناشئة، و الأخذ بالأخلاق الإسلامية الرفيعة، وبعض قيم الغرب المنسجمة مع القيم العربية، وخلق نوع من التفكير المتفتح على الثقافة العالمية.

كما استفاد مواطنوهما من الإطلاع على الثقافة العربية الإسلامية من خلال كتابيتهما بلغة سهلة واضحة، و في الوقت نفسه استفادوا من بعض ما كتباه عن الحضارة الغربية، ومن طرق التعليم المعاصرة التي استعملت و لأول مرة للبنين و البنات في عهد الرجلين، لاسيما في جزائر **ابن باديس**، الذي كان أول من أنشأ مدرسة عربية في الجزائر على الطراز الحديث سنة **1917**م.

و كذلك تفسير القرآن بأسلوب مبسط و مفهوم من قبل جميع المستمعين لدروسهما والقراء لصحافتيهما، و خاصة تفسير **ابن باديس** الذي كان موجها بالدرجة الأولى إلى المجتمع الجزائري الذي كان قد فقد كل مقومات ثقافته العربية.

أما في الإصلاح الاجتماعي فقد لاحظنا أن كلا الرجلين، حاولا أن يقدما حلولا مناسبة لمجتمعه حسب ظروفه الخاصة، فكلاهما راعا عنصرين أساسيين في اجتهاده لإصلاح المجتمع هما:

- ❖ قيم الإسلام.
- ❖ روح الحضارة الحديثة[1].

[1] المرجع السابق ص:472-473.

غير أن الشيخ **محمد عبده** كان مسايرا لعصره أكثر من الشيخ **ابن باديس** كما يبدو من آثارهما، فالأول ذهب بعيدا مثلا: في الدعوة إلى حرية المرأة كالمطالبة بحقها في الطلاق و في سفور الوجه، ومنع التعدد إلى درجة أنه ساهم في تأليف كتاب "**حرية المرأة**" مع تلميذه "**قاسم أمين**" كما ذهب إلى ذلك محقق أعماله الدكتور "**محمد عمارة**".

وعلى المستوى الإقتصادي أفتى بجواز فوائد صندوق التوفير و التأمين الإجتماعي وإرتداء ملابس الغربيين" **كالبرنيطة**" "**chapeau**" مثلا، في حين أن مساهمة **ابن باديس** في ترقية المرأة لم تتعد حدود التقاليد الإجتماعية الجزائرية التي كان يعيش فيها إلا في إطار التعليم، فقد نادى بفتح الباب أمامها للأخذ بكل المعارف الدينية و الدنيوية، دون حدود أو قيود، كما دعاها إلى العمل في كل الميادين بإستثناء الرئاسة أو القيادة، و هو أمر غامض إلى حد ما في رأي المصلح الجزائري، و في إطار المظهر الشخصي للمرأة فقد رخص لها أن تخرج إلى الشارع سافرة الوجه، و لكنه ربط ذلك بالبيئة الإجتماعية التي تعيش فيها حسب الوضع الذي تعود الناس رؤيتها فيه، و هو خلاف لما أفتى به المصلح المصري الذي طالب المرأة بأن تكون سافرة الوجه، لاسيما في مواقع العمل و المسؤولية و الشهادة[1].

أما في الإصلاح الديني فإن كليهما صحح بعض العقائد الإسلامية، التي تسربت إليها البدع والخرافات من جراء بعض الممارسات الطرقية، و قاوم الجبرية، و دعا إلى حرية الإرادة و حرية العقل، ولعل هذا من أبرز العناصر الإيجابية في حركتيهما، و الذي يمكن

[1] المرجع السابق ص:472-473.

أن يستمر مع الأجيال على الدوام وقاوم بعض الظواهر الإجتماعية المرتبطة بالدين كتقديس الأولياء في حياتهما و التمسح بقبورهما بعد وفاتهما.

و قد استخلصنا من آثار الرجلين، أنهما حاولا أن يبطلا بعض السلوكات أو الممارسات حتى لو كان مسموحا بها في السنة النبوية، كزيارة المقابر و الأضرحة مثلا و هما يبرزان تلك المقاومة بالإبتعاد عن الحدود الشرعية ، لأنهما كانا يخشيان أن تتحول تلك الزيارات إلى تقديس أصحاب القبور مما يؤدي بهم إلى الشرك . غير أن إنشغالهما بمقاومة رجال الصوفية و الفقهاء التقليديين قد جلب عليهما نقدا كثيرا من الكتاب و السياسيين، الذين اعتبروا عملهما في هذا الحقل مضيعة للوقت و خروجا عن رسالتهما الحقيقية، التي حصروها بالنسبة **لإبن باديس** في التربية و التعليم، و بالنسبة **لمحمد عبده** في التعليم والتوجيه والقضاء و إصلاح الأزهر.

و لكن أكبر عمل ديني و ثقافي ورثه المسلمون عن هذين المصلحين هو تفسير القرآن الذي يعد من أجود التفاسير و أثراها و أكثرها ملائمة للعصر، ذلك أن كل من يقرأ هذا التفسير يشعر بطرافة الموضوع ومتعة الأسلوب و جمال اللغة و بذوق فني رفيع وبمعلومات تاريخية و علمية قيمة، بالإضافة إلى المعرفة الدينية و الأخلاقية التي تربي المجتمع و تربط اللحمة بين أفراده و تربى فيه قيم الحرية و نبالة الضمير الإنساني[1].

أما على المستوى السياسي فقد وصلنا إلى نتيجة، و هي أن كلا الرجلين سياسي بطبعه و لكن الممارسة السياسية في عملهما كانت ممتزجة بأعمالهما الأخرى، فكلاهما كتب في

[1] المرجع السابق ص:473-474.

السياسة، وكلاهما قدم آراء و نظريات في أصول الحكم وإشكاليته، وكلاهما قدم مطالب سياسية إلى الجهة المعنية في عصره، وكلاهما ألقى خطبا سياسية وربما ثورية أيضا كالشيخ **محمد عبده** مثلا في وسط الثورة العربية، و كلاهما شاركا في حوارات سياسية ولكن لا أحد منهما يمكن أن نقول عنه أنه كان رجل سياسة بمعناها الإحترافي أو بمدلولها العملي، لأن انشغالهما بالمسائل الدينية و التربوية و القضايا الإجتماعية و الثقافية قد طغت على إنتاجهما الفكري، و إن كانت جل نصوصهما لا تخلو من السياسة. غير أن مواقفهما السياسية تجاه الإستعمار الغربي لم تكن ثورية عملا و سلوكا، وإن كانت مكثفة طبيعة وطموحا.

و نحن لا نجاري من يقول بقلة خبرة الرجلين في السياسة، و لا من يقول بثوراتهما ميدانيا إذا قصدنا بالثورة التطرف و العنف و التغيير الجوهري للأوضاع القائمة في أمد معين و إنما نؤكد على أن كلا الرجلين كان سياسيا بالمعنى الفكري للسياسة، و بمعنى والتدرج في الحياة السياسية، و هذا ما يختلفان فيه مع قادة الحركات الوطنية الأخرى، "**كمصطفى كامل**" في مصر و "**مصالي الحاج** "في الجزائر.

و لكن يمكن القول بأنهما كانا أول من عبر عن الوطنية تعبيرا حديثا من العرب المسلمين كل في وطنه و في عصره و قدم فيها منظورا سياسيا عميقا، و اعتبر في الجزائر الأساس الذي بنى عليه الفكر الوطني بعد ذلك قاطبة[1].

[1] المرجع السابق ص:474-475.

أما على الصعيد الفكري الفلسفي، فإن المصلحين كانا مثقفين ثقافة فلسفية، كما كانا مثقفين ثقافة دينية و تاريخية، أدبية ، و إجتماعية، و لا يمكن في نظرنا أن نطلق على أحدهما أو كليهما لقب "فيلسوف" بالمعنى التقليدي للكلمة، رغم انشغالهما بموضوع الفلسفة إنشغالا عرضيا في غالب الأحيان، أقتضته بعض الضرورات الدينية و السياسية التي انشغلا بها طوال حياتهما.

حقا فإن الشيخ **محمد عبده** أنتج عملا عقليا نظريا في مجال الفلسفة، و لكن ذلك كان بهدف تبسيط مفاهيم علم الكلام و مصطلحاته، و جعله في متناول الطلبة و المثقفين في نطاق التوحيد، و تقريبه أكثر من أذهان الناس و عقولهم.

أما ابن باديس فبإستثناء نظرته التقييمية للتاريخ العربي و الإسلامي و التاريخ الوطني لا نكاد نعثر له على عمل ذي قيمة فلسفية واضحة، ما عدا ما يمكن أن نستنبطه من مقاله الخاص بالتمييز بين الإسلام الذاتي و الإسلام الوراثي، أو ما يمكن أن نستشفه من نص دعوة الجمعية الذي كتبه سنة **1936م**، و الذي أظفى عليه طابعا فلسفيا و إنسانيا تسامحيا إجتماعيا و إقتصاديا واضحا حقا، أو ما يمكن أن نستخلصه من كتابه" **العقائد الإسلامية**" الخاص بمساهمته في علم التوحيد[1].

وإذا أردنا أن نقيّيم عمل الرجلين من الناحيتين النظرية و التطبيقية، فيمكن أن ننطلق من عبارة دوناها في ثاني فصل من هذا البحث و هي أن الرجل ابن بيئته، ذلك أن مستوى **عبده** من الناحية النظرية، كان أرقى و أخصب من فكر **ابن باديس** إنطلاقا من بيئته

[1] المرجع السابق ص:475-476.

الثقافية و الإجتماعية، و أن جهد المصلح الجزائري من الناحية التطبيقية العملية في الميدان كان أعمق و أوفر انتاجا من جهود المصلح المصري ، ذلك أن المجال الذي تفوق فيه المصلح الجزائري فعلا، حسب له لا عليه.

و ظل يشكل المنطلق الحقيقي للجزائر المستقلة، و هو ميدان التربية و التعليم الذي ضرب فيه بسهم وافر و استطاع في ظرف أقل من عشرين عاما أن يكون شبكة من المدارس و جيشا من التلاميذ والمعلمين و الأساتذة، و هو ما لم يحققه أي مصلح في عهده سواء في المشرق أو المغرب، كما كون إطارات الثقافة العربية تكوينا معتبرا جمع بين الثقافة العربية الإسلامية التقليدية و الثقافة العصرية، فكانوا حجر الزاوية في بناء المدرسة العربية في الجزائر بعد إسترجاع الإستقلال الوطني سنة **1962م** لأن رؤيته للمستقبل كانت أكثر عمقا و شمولية من نظرة بعض السياسيين و المصلحين الآخرين، لاسيما أنه اختار العمل على صعيد ين مكملين لبعضهما البعض، الصعيد الفكري النظري، و الصعيد الميداني الجماهيري.

و لعل الأهمية في حركة **ابن باديس** التعليمية تكمن في كون الشعب الجزائري في عصره كان يعاني من الجهل و الأمية و التشريد نحو الجبال و فيافي الصحراء[1].

إن **ابن باديس** لم يكن في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر مجرد رجل دين نادى بالإصلاح وحدد مواقف تقدمية ازاء الدين و اللغة و الوطن، و إنما كان رجل فكر و نظر أيضا أضاء بنظرته التقدمية الكثير من المفاهيم السائدة في عصره، و لقاءاته مع الشعب،

[1] المرجع السابق ص:476.

مجادلاته لأساطين الإستعمار وأعوانه أن يغير الجو الراكد بحيوية لم يسبق لها مثيل، منذ استقرار الإحتلال الفرنسي في الجزائر هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الرجل قد استطاع أن يهز الأساس التقليدي للبنية الثقافية العربية التقليدية ،التي كانت سائدة في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين.

ففي هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، كانت المعرفة الثقافية حكرا على فئة مغلقة من شيوخ الطرق و العلماء الرسميين التقليديين، و لكن مناهج التعليم و الأفكار الجديدة التي جاء بها **ابن باديس** و جسدها في شعار "**انتقد ثم اعتقد**" هدمت شعارين كانا سائدين في الجزائر هما: "**اعتقد و لا تنتقد**"و "**سلم تسلم**" و قضت على هذا الإحتكار تدريجيا فانحل النظام الفكري القديم واختفت بالتالي وجدانية التفكير و تهاوت المصنفات الجامدة، و برزت في المقابل أنماط فكرية تقدمية شكلت فيما بعد خلفية ثقافية ورافدا نظريا رئيسيا للثورة الجزائرية المسلحة.

كما قدم **ابن باديس** علاوة على ذلك كله اضافات جديدة إلى الفكر الإصلاحي حين لم يكتف بالحدود النظرية و التبشير اللفظي في حركته، بل فقد تخطاها إلى التطبيق العملي، فعمل على تنظيم خطوات إجرائية في العديد من المجالات الحيوية في المجتمع.

و هذه المحاولة العملية التربوية لم يلجأ إليها حسب علمنا أي مصلح آخر[1]، بل و لم ينجح فيها حتى كبار المصلحين من أمثال "**جمال الدين الأفغاني**" و "**محمد عبده**" و"**محمد رشيد رضا**" دعوة وتطبيقا عمليا و تنظيميا، و إقامة المؤسسات التعليمية، ما عدا ما قد دار

[1] المرجع السابق ص:477-478.

حول هذا الموضوع من نقاش بين "**جمال الدين الأفغاني**" و "**محمد عبده**" لم ينتج عنه قرار حاسم يقضي بخلق جمعيات و منظمات علمية وتربوية أو سياسية للنهوض بالمجتمع الإسلامي من جموده و تأخره، و اكتفينا بتأسيس جمعية سرية ذات منهج سياسي و نظام داخلي صارم هي جمعية "**العروة الوثقى**" و إصدار مجلة في باريس بهذا الإسم.

وهكذا يكون المصلح الجزائري و إن لم يكن قد وجد حلولا جذرية لمشاكل مواطنيه فإنه قد أعاد إليهم الثقة بالنفس و الإيمان بالإعتماد على الذات . وهي عناصر أساسية في حياة الإنسان، كان المجمع الجزائري قد فقدها منذ هزيمته الكبرى مع الإستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر فأعاد **ابن باديس** بعث الإرادة الصلبة و الطاقات الخاملة إلى الحياة من جديد.

وبهذا فكلا الرجلين عملا وإجتهدا و فكرا وكتبا ودرسا وحاضرا وحاجا وناظرا وانتقدا الإنحرافات الإجتماعية والسياسية والدينية، ودافعاعن العروبة والإسلام وبرأه من إتهامات الذين اعتبروه معارضا للتقدم و التطور، ومن معاداة العلم الحديث، و طلب من المسلمين أن يأخذوا بأسباب المدنية و التقدم، و أن ينكروا الكسل و الإعتماد على الغير وأن ينبذوا الجبرية و التواكل، و أن يطلقوا للعقل حريته ليصول و يجول في المرئيات والمسموعات المحسوسات و المجهولات من أسرار الكون ومظاهر الطبيعة[1].

و لعل أهم ميزة تميزت بها حركتا **محمد عبده** و **ابن باديس** في رأينا، هي ميزة التسامح مع أصحاب الأديان المخالفة و مع خصوم الإصلاح، فبخصوص المسألة الأولى

[1] المرجع السابق ص:478-479.

دعا المصلح المصري إلى الإتحاد و التسامح السماوية الثلاثة اليهودية و المسيحية والإسلام، و بسبب وجود طوائف يهودية مسيحية في مصر، ألغى **محمد عبده** عنصر الدين من مقومات الوطنية المصرية.

أما **ابن باديس** في الجزائر فبالرغم من أن وطنه كان مستعمرة فرنسية استيطانية، فإنه كان يرى أن الديانات السماوية، بل حتى الماجوسية تستطيع أن تعيش في وئام وتسامح و إخاء مع بعضها، و إذا كانت بعيدة عن الظلم و العنصرية و الأنانية و الإجحاف.

و فيما يتصل بالمسألة الثانية، فإن كلا المصلحين، كان يدعو خصومه من الطرقيين و الفقهاء الرسميين الجامدين إلى التفاهم و التسامح و الإبتعاد عن التعصب و المغالاة واتباع الدين من الطرق الميسرة، و محاولة افهامهم أن الدين واحد و أن الرب واحد، فلماذا الإختلاف، و لماذا التعصب، و لماذا تقديس البشر[1].

و من هذه النتيجة نستخلص نتيجة أخرى و هي: أن العنف و التطرف و المغالاة في الدين الذي تميزت به بعض الجماعات في السنين الأخيرة لم يكن كما يدعي البعض نتيجة من نتائج الإصلاح الإسلامي، الذي دعا إليه **محمد عبده** في مصر و **ابن باديس** في الجزائر، بل بالعكس فإن كثيرا من زعماء الحركات المتطرفة في الجزائر هاجموا **ابن باديس** ووصفوه بالعلمانية، وعابوا عليه أن يكون رجلا قوميا ووطنيا، مع أن الإنسان لا يمكن أن يكون كامل الشخصية إلا بهذه المقومات.

[1] المرجع السابق ص:479-480.

وبعد وفاة هذين المصلحين تبنى تلاميذهما نظريتهما و آراءهما في الإصلاح الإجتماعي و شكلوا ما أصبح يعرف باسم المدرسة "**العبدوية**" و المدرسة "**الباديسية**" ، وبرز رجال هاتين المدرستين كتاب ومؤرخون وأدباء وفلاسفة، أصبحت شهرتهم عالمية في الشرق و في الغرب أمثال:"**قاسم أمين**" و"**سعد زغلول**" و "**محمد رشيد رضا**" و "**مصطفى المراغي**" و" **أحمدي الظواهري**" و"**مصطفى عبد الرازق**" وغيرهم كثيرون بالنسبة **لعبده** في مصر.

أما **ابن باديس** في الجزائر فإن بعض تلاميذه مازالوا حتى الآن يعقدون في ذكراه السنوية الملتقيات العلمية و الندوات الأدبية، و يكتبون عنه في الصحف اليومية و في المجلات الشهرية و الدورية.

و من أبرز هؤلاء الذين حملوا رايته بعد وفاته المؤرخ الجزائري "**مبارك الميلي**" و المجاهد الثائر "**الشيخ العربي التبسي**" و الفقيه الكبير الشيخ "**أحمد حماني**" و الوزير السابق "**عبد الرحمان شيبان**" و "**محمد الميلي**" و الشيخ " **محمد الصالح رمضان**" و الشيخ "**الفضيل الورتلاني**" و "**عبد المجيد حيرش**" و "**محمد الصالح بن عتيق**" و غيرهم كثيرون.

أما دوافع الإصلاح لدى الجميع سواء أكانت عند **ابن باديس** أو **جمال الدين** أو **عبده** فإنها ترجع إلى منبع واحد أي تخلف المسلمين في السيطرة على القوة و الواقع، و في القوة المادية و الإقتصادية بجانب القوة الروحية الدافعة التي هي في الإسلام[1].

[1] المرجع السابق ص: 480.

الخاتمة

وبعد المقارنة التي أجريناها بين المنهج الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وجماعة العروة الوثقى توصلنا إلى النتائج التالية :

لقد كانت الحركة الإصلاحية التي قادها ابن باديس في الجزائر، تمتاز عن "الإصلاحية الكلامية المجردة" التي قام بها الشيخ **محمد عبده** في المشرق العربي ، ذلك أن حركة ابن باديس هي أقرب الحركات إلى النفوس والعقول على حد سواء ، بما اتبعت من منهج مستلهم من قوله تعالى : ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُمَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ الرعد:11

كان المنهج الإصلاحي الذي اتبعه **ابن باديس** في الجزائر يتشابه من حيث المبدأ مع المنهج الذي اتبعه محمد عبده وأستاذه " **جمال الدين الأفغاني**"، ولكنه يختلف عنه في فروع كثيرة. في مجال التطبيق حسب البيئة الجزائرية التي كانت تختلف إلى حد كبير عن البيئة المصرية .

إن الشيخ **محمد عبده** هو أول ما نادى بالإصلاح الديني علما وعملا.

إن **عبد الحميد ابن باديس** قاد في الجزائر نهضته إصلاحية تجديدية ، كانت ثمرتها تحرير الفكر وإنارته وإعداده لتحرير الوطن واستقلاله.

إن **ابن باديس** يتفق مع **جمال الدين الأفغاني** في سير الإصلاح السياسي جنبا إلى جنب مع الإصلاح الديني والاجتماعي، وكلاهما مكل للآخر ومن هذا يختلف **ابن باديس** مع **محمد عبده** الذي يرى أن الإصلاح الديني والعلمي والتربوي يمكن أن يتم منعزلا عن الإصلاح السياسي.

لقد تأثر الشيخ **عبد الحميد ابن باديس** بأفكار وآراء الشيخ **محمد عبده** الإصلاحية عن طريق مجلة "**المنار**".

تعتبر الأعمال التي قامت بها كل من **جمعية العلماء المسلمين** و**العروة الوثقى** عامل مهم في زعزعة الجمود الفكري وإيقاظ الضمير العربي الإسلامي وبخاصة شعب **ابن باديس** وشعب **محمد عبده** الذي كان يعاني من وطأة الاحتلال الأجنبي .

كانت مطالب وأهداف كل من **الجمعية** و**العروة** تصب في منبع واحد وهو التعبير عن مطالبهم الوطنية والدفاع عن شعبهم .

رغم اختلاف الظروف والبيئات والعادات والتقاليد التي عاشها كلا المصلحين الجزائري والمصري ، إلا أنهما كانا يتجهان في نفس الوجهة .

وفي الأخير نرجو وأن يكون بحثنا هذا محل اهتمام ، وأن يجد القارئ فيه بعض ما يفيده ، فما هو إلا قطرة ماء في محيط يتطلب تظافر الجهود لمواصلة البحث من أجل معرفة أعمق.

ونسأل الله حسن الختام ، وجزاكم الله خيرا فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

الملحق

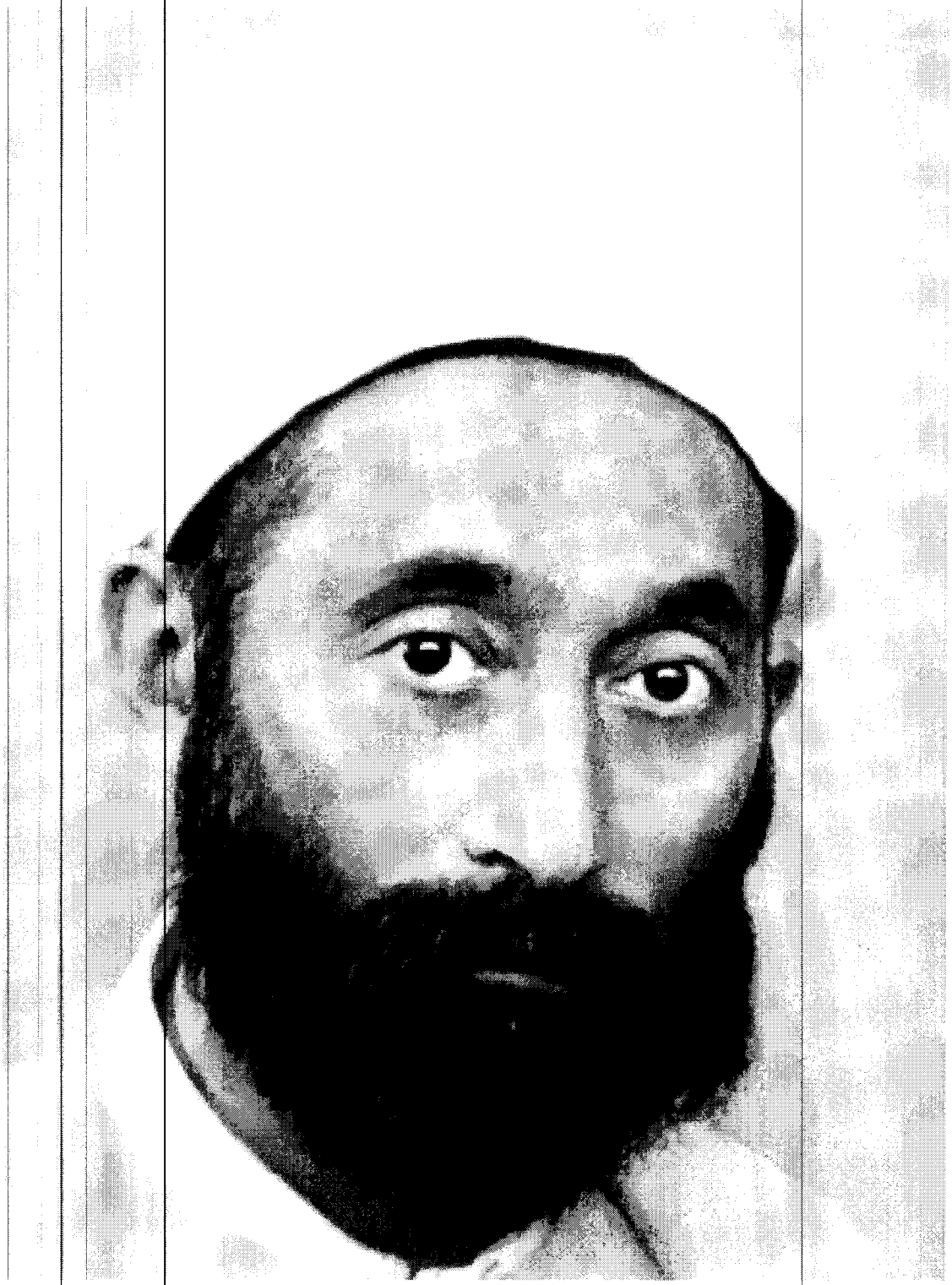

صورة (01): عبد الحميد ابن باديس

صورة (02): محمد البشير الابراهيمي

صورة (03): العربي بن بلقاسم التبسي

صورة (04): الطيب العقبي

صورة (05): مبارك الميلي

صورة (06): جمال الدين الأفغاني

صورة (07): محمد عبده

قائمة المصادر و المراجع

***القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

1-المصادر والمراجع:

- أحمد طالب الإبراهيمي *آثار البشير الإبراهيمي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر الجزء الأول، الطبعة الأولى ، سنة 1997.

*أثار البشير الإبراهيمي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، الجزءالخامس ، سنة 1997.

- الزبير بن رحال ، من أعلام الجزائر الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة الإسلامي العلمية والفكرية ، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر.
- بوصفصاف عبد الكريم *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ،1931-1945م ، دار البعث للطباعة والنشر ، قسنطينة ، طبعة أولى ، سنة 1981م.

*الفكر العربي الحديث والمعاصر ، محمد عبده وابن باديس نموذجا ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر ، سنة 2004م.

- تركي رابح عمامرة *جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ،1931-1956 ورؤسائها الثلاثة ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الاولى ، سنة 1999.

*الشيخ عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ،الطبعة الخامسة، سنة 2001م.

- جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، العروة الوثقى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة ثالثة ، سنة 1983.
- شرفي احمد الرفاعي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر (القسم الأول للشيخ العربي التبسي) ، دار البعث للطباعة و النشر والتوزيع، قسنطينة، الطبعة الأولى، سنة 1981م.
- عبد القادر فضيل ، محمد الصالح رمضان ، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، برج الكيفان ، الجزائر ، سنة 2001.
- عبد المنعم حنفي ، موسوعة الفرق والجماعات والحركات الإسلامية ، مكتبة مدلوبي ، الطبعة الثانية، سنة 1999.
- محمد الصالح الصادق، المصلح المجدد ابن باديس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الساحة المركزية ، بن عكنون الجزائر ، سنة 2009م.
- محمد طهاري ، الحركة الإصلاحية في الفكر الإسلامي المعاصر ، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الأولى ، سنة 1999م.
- محمد عمارة ، الإمام محمد عبده ، مجدد الإسلام، المؤسسة العربية للدارسات والنشر ، بيروت ، طبعة أولى، سنة 1981م.
- محمد حامد الناصر ، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، مكتبة الكوثر ، الرياض، الطبعة الثانية ، سنة 2001.

2-الرسائل الجامعية :

- فضيلة عيساوي، الاصلاح الفكري عند جماعة العروة الوثقى ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة ، سنة 2008م.

3- المواقع الاكترونية:

- http://ar.wikipedia.org
- http://www.alawali.com

4-المجلات :

- أحمد بن ذياب، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الجزائر ، العدد 8 شهر (مايو-جوان) سنة1927.
- ابن تيمية ، مجلة الإصلاح ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، باب الزوار ، الجزائر ، العدد 13 ، سنة 2009.
- ابن عثيمين ، مجلة الإصلاح ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، باب الزوار ، الجزائر ، العدد 13 ، سنة 2009.
- الطيب العقبي ، مجلة الإصلاح ، دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، باب الزوار ، الجزائر ، العدد 13 ، سنة 2009م.
- عبد الحفيظ بورديم ، مجموعة جريدة البصائر ، سنة أولى ، سنة 1935-1937م.

5-المعاجم:

- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، المصباح المنير، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 1996م.
- أحمد رضا ، معجم متن اللغة العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، مجلد ثالث، سنة 1959.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة 2004م.
- جوزيف عصام نعمة ، المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة 2005م.
- كميل اسكندر حشيمة ، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة ، دار المشرق ، بيروت، الطبعة الأولى ، سنة 2003.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الرقم	العنوان	الصفحة
01	إهداء	
02	مقدمة	ـ ف ـ
03	المدخل: بوادر النهضة و أصول الحركة الإصلاحية في الجزائر ومصر	1
	- مفهوم الإصلاح	3
	أ- لغة	3
	ب-إصطلاحا	5
04	الفصل الأول: الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	9
	المبحث الأول: - نشأتها	9
	- تعريفها	12
	- المبادئ التي ناضلت من أجلها	12
	- المبادئ التي تكونت من اجل تحقيقها	14
	- أركانها	15
	- أهدافها	15
	- أعمالها	17
	- دورها	17
	- نشاطاتها	18
	- أعلامها: أولا: عبد الحميد بن باديس	20
	- نشأته و حياته	20
	- مولده	20
	- أبوه	20
	- أمه	20
	- شهرة أسرته	21
	- تعليمه و أساتذته	23
	- رحلاته	31
	- العوامل التي أثرت في تكوين شخصيته	33
	- وفاته و مؤلفاته	38
	ثانيا: البشير الإبراهيمي	38
	- نبذة عن حياته	38
	- مؤلفاته	40
	ثالثا: العربي بن بلقاسم التبسي	42
	- نبذة عن حياته	42
	- استشهاده و مقتطفات من كتاباته وخطبه	45

		رابعا: الطيب العقبي	46
		خامسا: مبارك بن محمد الميلي	47
		المبحث الثاني: مجالات الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين	48
		ـ مجال العقيدة و الإيمان	49
		ـ مجال الإسلام	51
		ـ مجال الثقافة و التعليم	54
		ـ مجال الأخلاق	58
		ـ مجال القرآن الكريم	61
		ـ مجال التربية و التكوين	63
		ـ مجال الوطنية و القومية	65
		ـ مجال السياسة و محاربة الإستعمار	66
		ـ مجال الدفاع عن الإسلام و العربية وكل ما هو حق	71
		ـ مجال تأسيس الجمعيات و المساجد و النوادي	74
		ـ مجال الأدب و الفن و الجمال	77
05		ـ مجال مواجهة الطرقيين و محربتهم	79
		الفصل الثاني: الإصلاح عند جماعة العروة الوثقى	
		المبحث الأول: معنى العروة الوثقى في القرآن الكريم	85
		ـ تعريف جماعة العروة الوثقى	86
		ـ أهدافها	88
		ـ أعلامها أولا: جمال الدين الأفغاني	89
		ـ نبذة عن حياته	89
		ـ بداية حياته العلمية	90
		ـ رحيله إلى الهند	92
		ـ مجيئه لأول مرة من أوائل سنة 1870	93
		ـ سفره إلى الأستالة ثم رحيله عنها	93
		ـ عودته إلى مصر و إقامته بها	94
		ـ أثره العلمي و الأدبي	95
		ـ أثره الأخلاقي و السياسي	97
		ـ عمله في فارس ثم نفيه منها	98
		ـ مرضه و وفاته	99
		ثانيا: محمد عبده	100
		ـ ولادته	100
		ـ تعلمه	100
		ـ شيوخه	101

		ـ أثاره	105
		ـ أهم اعماله قي الفترة الاخيرة	106
		ـ منهجه في الإصلاح	107
		المبحث الثاني: مجالات الإصلاح عند جماعة العروة الوثقى	109
		ـ النهضة الفكرية عند محمد عبده	109
		ـ مجال الإصلاح الديني	110
		ـ مجال إصلاح اللغة و أساليبها	112
		ـ مجال إصلاح التربية و التعليم	112
		ـ مجال الإصلاح السياسي	114
		ـ مجال الإصلاح الإجتماعي و الإقتصادي	115
06		ـ مجال إصلاح القضاء في المحاكم المصرية	117
07	الفصل الثالث: أوجه الشبه و الإختلاف		119
08	الخاتمة		132
09	ملحق الصور		134
10	قائمة المصادر و المراجع		141
	فهرس الموضوعات		145